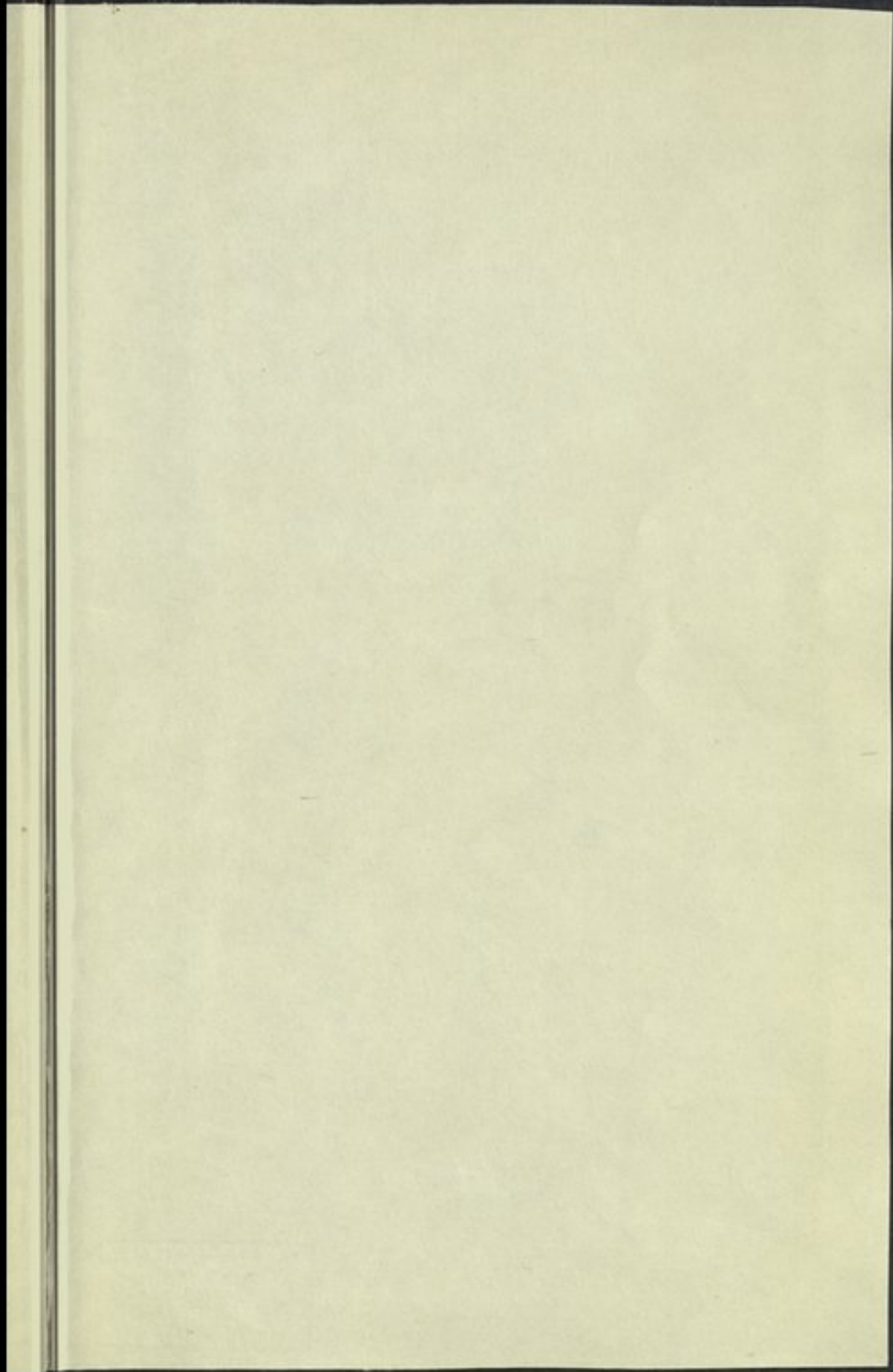
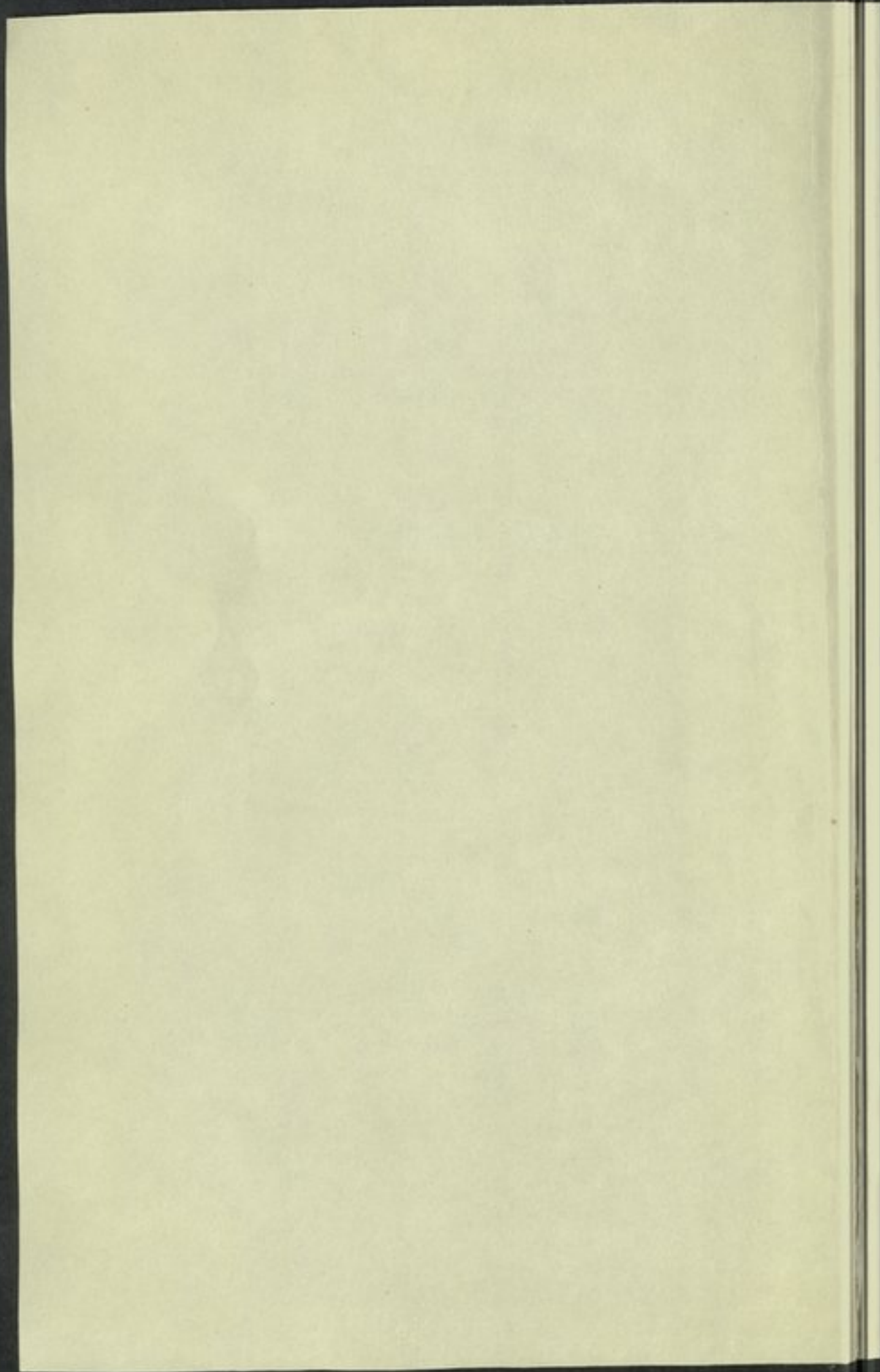
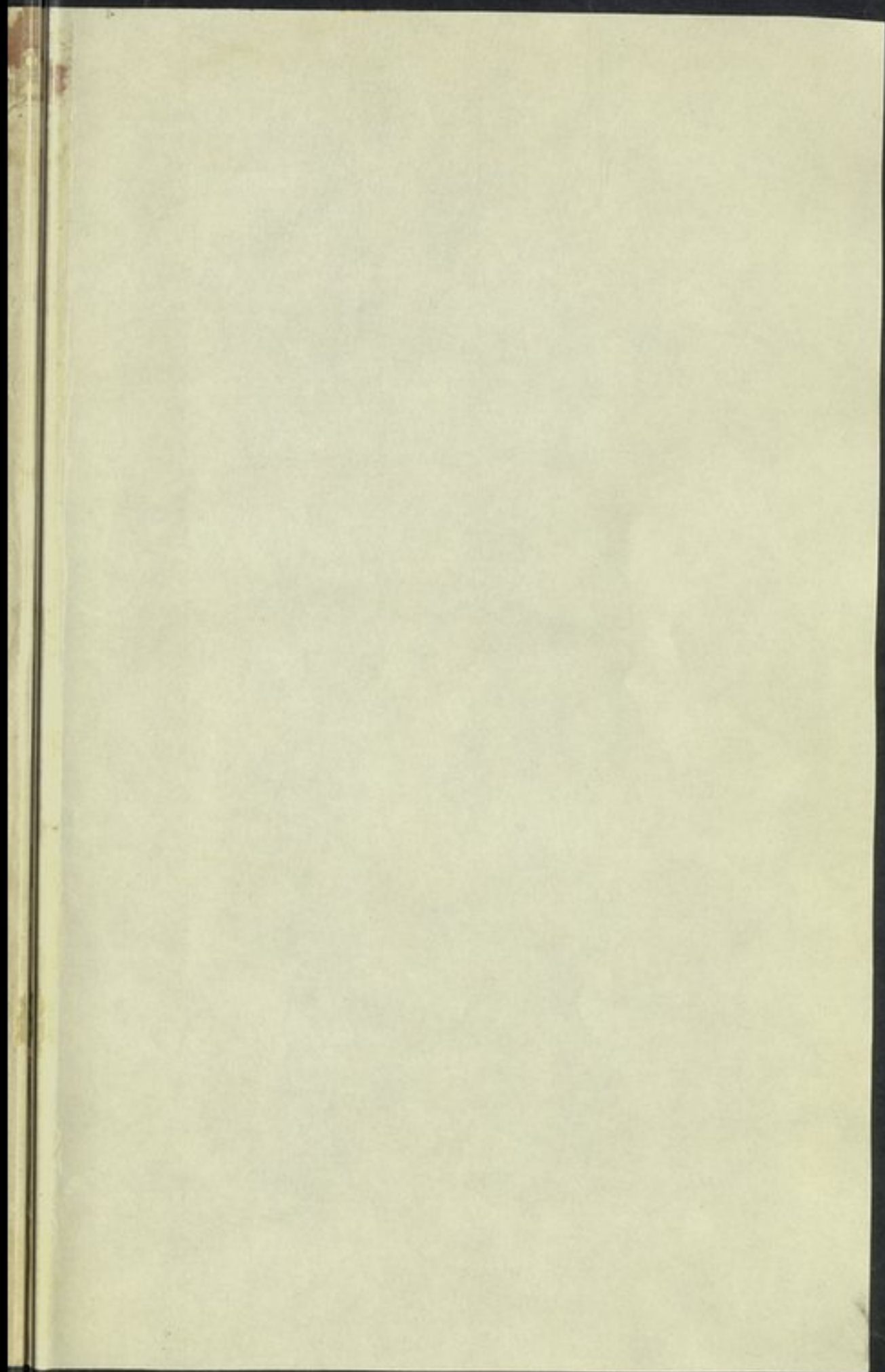


AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY
22 JUL 1972
Tel. 260458







بجانب مكتبة الكلية الشراعية
من المؤلفات
لهي شيم

370.4

H34RA

كِتَابُ
فِي
التَّزْيِينَةِ

وهو مجموع محاضرات

ألقتها في الجامعة المصرية سنة ١٩١١

لهي شيم

19292

صاحبة ومحررة مجلة فتاة الشرق

19292

مطبعة المعارف بشوارع الفيحان بمصر



تقدمة الكتاب

الى حضرة صاحب لدولة الامير حمد فواد باشا رئيس الجامعة المصرية
ان ما تبذلونه من الهمم والاجتهاد في تربية الناشئة المصرية يجعلها في عداد الامة الراقية
وما تصرفونه من العناية بتربية المرأة وتهذيب اخلاقها لتبلغ ذروة الكمال دفعني لان اقدم
الى معاكم السامي هذا الكتاب المشتمل على المحاضرات التي اقيمتا في الجامعة المصرية في
فن تربية الاولاد الذين هم رجال المستقبل فارجو ان تنالوا الى قبوله وهذا جسي
بجسبه

مقدمة

يحتوي هذا الكتاب على ملخص محاضرات في التربية ألقيتها على السيدات في الجامعة المصرية سنة ١٩١١ وقد اخترت هذا الموضوع لأنه أهم ما نحتاج إليه في عصرنا الحاضر فنال ذلك ارتياحاً عظيماً لدى العقلاء والادباء فانهالت عليّ رسائل الثناء منهم متتابعة بما دفعني الى اجابة طلب الجامعة من حيث زيادة التطويل واستيفاء البحث بالرغم عن كثرة اشغالي وقد تلطفت الجامعة المصرية حفظها الله فعنيت بطبع بعض نسخ من كل من هذه المحاضرات على الآلة الكاتبة ونشرتها في أهم الجرائد المصرية فجاء فيها أغلاط مطبعية لا تخفى على الاديب

فاشكر للجامعة المصرية ثقتها بي واثي على سائر الجرائد والادباء الذين قابلوا محاضراتي بالاهتمام والاستحسان تشييطاً لي سائلة المولى ان يلهمنا جميعاً الى ما فيه خير البلاد وفائدة ابنائها
ببيرة هاشم
صاحبة مجلة فتاة الشرق

بمصر

المحاضرة الاولى

التربية

(المقدمة)

حياة الأم رجالها ونسائها ولا رجال ولا نساء الا حيث الاجسام
الصحيحة والآداب الراقية وهذان الامران لا يتمان الا بالتربية القويمة
لأن التربية هي التي تعين الطبيعة على انماء قوى الولد الجسدية والعقلية
وتصونه من امراض الجهل الفتاكة واخطار الاهمال الكثيرة وتكسبه
فوق ذلك من قوة البدن ودمائة الاخلاق وحسن الاختيار ما يؤهله لان
يكون عضواً نافعاً في الهيئة الجامعة

ومن منا نحن النساء لا تحب ان ترى ولدها (سواء كان صبياً او
ابنة) في مقدمة ذوي الشرف والاستقامة والمقامات العالية ومن اصحاب
الفضل والصلاح والاحسان

أجل ان كلاً منا ترغب في ذلك وتتمناه ولكن قليلات هن اللواتي
يساعدن حسن الطالع على احرازه واذا قدر لهن ذلك اي اذا قدر ان
يكون لهن اولاد محمودي الخصال فذلك اتفاقاً او بتغلب الخير في سليقة
الاولاد وليس بفضل الامهات وعنايتهن

اقول ذلك وانا لا اجهل مبلغ آداب نساتنا وصفاء قلوبهن وانهن
أبعد نساء العالم عن المنكرات واكثرهن تمسكاً باهداب الفضائل

والمبرات على ان ذلك لا يكفين معرفة كيفية الاعتناء بصحة اولادهن وارهاق اذهانهم اذ ان التربية علم واسع بل بحر زاخر لا يستطيع المربي خوض غماره بمجرد كونه فاضلاً او اديباً بل من الواجب ان يتعلمه علماً ويقف على كنه اسراره حتى يستحق ان توكل اليه العناية بالاولاد اولئك الصغار الذين يصبحون يوماً رجال المستقبل. وان صعوبة هذا العلم وعظم اهميته مع عدم تمكن الوالدين من معرفته قد دفعت الاقدمين الى اقامة المربين والمعلمين للاولاد وحذت حذوهم الشعوب الاوربية والاميركية في الاعصر الاخيرة فاهتمت في امر التربية اهتمامها بسائر العلوم واكثر فارتقت بلادها وتقدم شعبها تقدماً باهراً

اما نحن فاننا لا تزال حتى الآن رجالاً ونساءً نجهل قواعد التربية ولم يخطر لرؤساء مدارسنا الاهتمام بها ولا اكثر كتابنا بوضع مصنف واحد لتعليم الوالدين فن تربية الاولاد حتى ان سلفاءنا مع ما بلغوا اليه من الحضارة وسعة المعارف وما اشتغلوا به من العلوم والفنون قد أغفلوا فن التربية ولم يثبتوا شيئاً من قوانينه في مصنفاتهم ولا يزال هذا العلم مهملاً حتى يومنا الحاضر

ولكن املنا بهمة صاحب الدولة رئيس الجامعة المصرية ورجال ادارتها الافاضل ان يعنوا في امر التربية عنايتهم في سائر العلوم التي تدرس في هذا المعهد العلمي فينشئوا فرعاً خاصاً لتعليم المعلمين قوانين التربية التي يجب ان يجروا عليها في معاملة الطلبة والاعتناء بصحة اجسامهم واخلاقهم في جميع المدارس وما ذلك ببعيد على رجل الفيرة والفضل رجل المهمة

والإقدام ، رجل الوطنية الصادقة . رجل الخير . رجل العمل . مثال الجد والنشاط . صاحب الدولة البرنس احمد فؤاد باشا حفظه الله وايده بمعاونته الصمدانية لاتمام مقاصده الشريفة وتنفيذ اعماله العظيمة التي طلعت تباشير فوائدها على الامة المصرية وانتشر شذا محاسنها في سائر الاقطار العربية تذيع محامد مولانا عزيز القطر سمو الامير المعظم عباس حلمي الثاني خديوي مصر وسمو ولي عهده الكريم الامير عبد المنعم رئيس الشرف على هذا المعهد العلمي العظيم

أجل ليس ببعيد على غيرتهم العظيمة وهمتهم العالية ان نبلغ يوماً بآمالنا ما نرجوه من تحسن حالنا على انه وان تم لنا ذلك وبلغ معلمو مدارسنا أعلى منزلة من التربية فذلك لا ينقص من واجبات الوالدين نحو اولادهم ولا يغنيهم عن الاهتمام بهم في الصغر اي قبل دخولهم المدرسة وفي الكبر اي بعد خروجهم منها وفي ما بقي من الفترات التي يقضيها الولد الى جانب والديه بعيداً عن استاذة

ولما كانت الأم اكثر ملازمة للولد كان أمر تربيته موكولاً اليها ولا سيما في دور الصغر وهو الذي أشد ما يكون فيه عقل الولد مرونة وقابلية للتكيف والتأثر بكل المؤثرات الخارجية فمن الظلم اذن ان تكون الأم جاهلة قوانين التربية لأنها تصبح بذلك آفة على ابنها بما تطبعه في ذهنه من المبادئ الفاسدة والاعتقادات السخيفة التي يصعب ان لم نقل يستحيل نزعها بعد ذلك

ولكي يتضح لنا ذلك جلياً لتصور طفلاً بين يدي أم جاهلة يتلوى

من ألم المنص أو التهاب الحلق أو الحنجرة فتعلق تلك الوالدة في عنقه الحجب
وتعمل له تعاويذ أو تجزئه بالملح وإذا رمد تضع حول رأسه اللفائف وتترك
الأقذار والأوساخ تتراكم على عينيه اعتقاداً بأن غسلها مضر بهما فإذا
كتبت لهذا الطفل الحياة وبقي له شيء من قوة البصر شب بين الخدم
أن كان من طائفة الأغنياء أو ترك في وهاد الإهمال أن كان من الفقراء
وفي كلا الحالين لا يطرق سمعه إلا الأحاديث المضللة والحكايات الخرافية
وقصص الجان والعماريات فضلاً عن الشتائم والأكاذيب. فكيف تكون
بربكن حالة هذا الطفل صحيحاً وعقلياً؟ لا شك أنها تكون حالة تعسة جداً
لأنه متى شب على هذه التربية الفاسدة فلا يرجى بعد ذلك أن تصلح
المدرسة ما فسد من آدابه وتقوم ما اعوج من أخلاقه إذ أنى للاستاذ أن
يؤثر على ذهنه المتشبع بالجهالة والقحة والبلادة والضلال

لا ريب أن السنين التي يقضيها الولد في المدرسة لا تكفي على طول
مدتها لنسخ تلك المبادئ الخرقاء التي رسخت في طبعه وحل قيد الجهل
والحمق الموضوع حول عنقه ولذلك يخرج من المدرسة وهو لا يفرق عما
كان عليه وقت دخوله إليها إلا بمعرفة قواعد العلوم ومبادئ اللغات التي
يشحن بها دماغه شحناً دون أن يستفيد منها أدباً وهو مطابق لقول الشاعر
كالعيس في البيداء يقتلها الظأ والماء فوق ظهورها محمول

فإذا علمنا ذلك كله ورأينا بعض شباننا وبناتنا من خريجي المدارس
يأتون أحياناً أعمالاً وأقوالاً تدل بفسادها وتفاهتها على أنهم ليسوا أرقى
عقلاً من الجهلة الأميين والسوقة المتشردين لم يبق لنا سبيل للتعجب منهم

كما لم يك لنا حق بلومهم لانهم ابناء وبنات تربيتهم وما تلك الهيئات التي
نشاهدكم عليها في الطرق والمتنزعات الأصغر معكوسة عن أخلاق أمهاتهم
ولعمري أني لم أر عظة أبلغ من عمل ذلك المجرم وقد اقتيد للاعدام اذ
مال على والدته فقطع لسانها اعتقاداً بأنه كان السبب في وصوله الى المشنقة
وذلك بما كانت تلقيه والدته عليه من احاديث الكذب والرياء وما كانت
تبثه فيه من روح الشرور والمعاصي حتى أصبح بفساد تعليمها وشر
ارشاداتها افاكاً قاتلاً ولصاً شريراً وبالْحَقِيقَةِ ان مثل هذا لا يسمى مجرماً
بل شهيداً شهيد الجهل شهيد التربية الفاسدة وما المجرم الحقيقي الذي
يستحق الشنق سوى تلك المرأة التي قضى شؤم الطالع على ابنها ان
تكون له أمّاً

أجل ان الأم على شدة حبها لولدها وعطفها عليه هي التي تسلبه قوة
جسده وبهاء طلعه وهي التي تقوده الى ظلمات السجون وتجره الى حبل
المشنقة كما انها هي التي ترفعه الى أسمى مراقي الكمال وتحيك له
بينانها الترفه أثواب العافية والجمال

هذا ما جعلته مقدمة للموضوع الذي عزمت على البحث فيه والتبسط
في فروعه وأسواره فلننتقل منه الى

✧ المطلب الاول ✧

﴿ في غاية التربية ﴾

ان التربية علم غايته انماء الخلال الحسنة الموجودة في جبلة الولد
واستئصال جرائم الشر منها على قدر الطاقة . اقول على قدر الطاقة لأن

من الصفات الموروثة ما يكون راسخاً في طبع الولد رسوخاً لا يمكن
المربي نزعها بهما بذل من أنواع السياسة في معاملته وضروب الحنكة في
تربيته ولكنه يستطيع في الغالب ان يلفظها أو يحولها الى غايات شريفة
حسنة العواقب مثال ذلك اذا كان من طبع الولد العناد والتصلب في
الرأي فباستطاعة المربي ان يداوي علة تصلبه بتعويد الخذر والتروي
في الأمور قبل البت فيها بحيث لا يكون في اصراره ما يعود عليه
بالضرر والندم

والتربية قائمة على نوعين اولهما تربية البدن بموجب القوانين الصحية
وثانيهما تهذيب العقل بحسب النواميس الأدبية فينبغي ان يسير هذان
النوعان عن يمين الولد وعن شماله بخطوات متعادلة من حين ولادته الى
ان يبلغ أشده فان بدا تقصير في احدهما فأت الفائدة المقصودة من
التربية وكان مثل الولد مثل من يمشي على رجل واحدة :

السنا نرى في كل يوم كثيرين من ذوي البنية القوية والأجسام
الصحيحة كالقرويين مثلاً يقضون حياة طويلة وهم لا يفرقون عن حيوانات
النقل بشكل معيشتهم واقتصارهم من دهرهم على كسر يتلفونها واكواخ
ياوون اليها. أو لسنا نرى أيضاً كثيرين من الاولاد الاذكياء الذين توفرت
لهم وسائط التعليم والتربية الادبية يعيشون ضئيلي الأجسام ضعيفي القوى
عاجزين عن ادراك كثير من الأماني التي يتمتع بها اترابهم وكانوا جديرين
بها لولا ما فاتهم من صحة البدن وصلابة الأعصاب . نعم ان من الأمراض
ما هو موروث كبعض المناقب والشوائب لا يمكن شفاؤه بمجرد العناية

الجسدية على ان كثيراً ما يكون مرض الاطفال وموتهم مسببين عن جهل
الأمهات قوانين الصحة فانه يستدل من الاحصاءات الرسمية ان عدد
الوفيات يزداد في الأطفال زيادة مطردة على نسبة تأخر الأمة وجهلها
قواعد التربية الجسدية . ويسؤنا القول ان معدل موت الأطفال في القطر
المصري اكثر منه في سائر أقطار العالم وفي ذلك دليل واضح على ان فن
التربية مجهول عندنا تماماً

ولا غرو فنحن نرى فتياتنا وشباننا يقدمون على الزواج وكلهم يجهل
الواجبات الوالدية تمام الجهل فالشباب المتعلم لا يعرف سوى قواعد العلوم
التي التقطها في المدرسة أو الصناعة التي يشتغل بها للقيام باوده والفتاة إما
ان تكون امية جاهلة أو عارفة بالتطريز والعزف على البيانو والتكلم بلغات
الأعاجم فاذا ما رزقا اولاداً حاراً في كيفية تهذيبهم وأخذاً يخبطان في
تربيتهم خبطاً قد يودي بحياتهم ويفسد أخلاقهم حتى اذا مات احد
منهم قالوا هذا (عمره) ومن عاش مسقوماً سيء الخلق رديء السيرة قالوا
تلك (قسمته) وهكذا يقتل الآباء والامهات اجساد اولادهم ونفوسهم
وأدابهم لقلة اختبارهم وتعرضهم لمهمة لم يسبق لهم علم بها ولم يستعدوا لها
ومن العجيب ان ما منهم من يتعاطى عملاً او صناعة او حرفة
مهما كانت بسيطة قبل ان يتقن تعلمها اولاً فالحمامي لا ينصب نفسه
للمحاماة قبل ان يدرس علم الحقوق والفلاح لا يتعاطى فن الزراعة الا
وهو على علم او على بعض العلم بخصائص المزروعات وقابلية الارض
وتأثير السماد الى غير ذلك من الاختبارات الزراعية وهكذا النجار

والحداد والخياطة والمرضة وسائر الصنائع والمستخدمين فانهم لا يتعاطون مهنة دون ان يتعلموها اولاً اما الآباء والامهات فانهم يتولون امر التربية ويسنون لاولادهم شرائع تجري قواعدها على اجسادهم واذهانهم وهم لا يدرون شيئاً من قوانين الصحة والتربية الادبية

وهذا ما دعاني الى اتخاذ التربية موضوعاً للبحث ممكن ايها السيدات الفاضلات علناً بذلك نهتم في ايجاد وسائل لتحسين التربية في المدارس وتعليم الفتيات قوانين الصحة وقواعد الآداب الصحيحة حتى اذا اصبحن يوماً امهات يدركن ما عليهن من خطورة الواجبات الوالدية فيرتقي بذلك مجتمعنا ويصلح شأن افرادنا باصلاح التربية العمومية وتهذيب اخلاق الناشئة على قواعدها الصحيحة

ومعلوم اننا في عصر انتشرت فيه آيات المدنية الاوربية على ما فيها من المساوي، الكثيرة التي يجهر بها الغربيون انفسهم والتي كنا في مآمن من اخطارها في عصور الجهالة الماضية فاصبح من المتوجب على الأم حتماً ان تسهر على بنيتها وبناتها بعين التيقظ والاهتمام وترشدن الى السبل القويمة وتنشئهم على اصول الآداب الراسخة والاخلاق الصالحة التي لا تؤثر بها عواصف الالهواء واعصار التقاليد جاعلة اساس تربيتها الشرف الصحيح والصيت الحسن اللذين اذا رسخا في امرء هان عليه كل عزيز في سبيل صيانتهم

وما اجل ما وقع تحت بصري في احد المؤلفات من مملحة حكيمية انقلها اليكن تفكها وذكرى

زعموا ان الماء والنار والصيت الحسن اصطحبوا مرة ثم ارادوا
الافتراق فقالوا ليجعل كل منا لنفسه علامة نعرفه بها اذا طلبناه فقال
الماء انا اكون حيث تكون الخضره وقالت النار وانا اكون حيث يكون
الدخان قال الصيت الحسن اما انا فان من يفقدني فلا يجديني ابداً
اننا نجد في هذه الملمحة أمثلة حسنة يجدر بالأمهات تكرارها على
مسمع ابنائهن وبنائهن حتى ترسخ في اذهانهم وتجعل فيهم استعداداً
لاقتحام لجة الشبيبة على ما فيها من الاخطار دون ان يلحق باجسامهم
وأدابهم امراض واضرار

« والتربية تتناول ادوار الحداثة والصبوة والكهولة وهي انما تتم في
ثلاثة أنواع . النوع الاول « التربية الوالدية » وهو يأتي في زمن الطفولية
والحداثة والنوع الثاني « التربية العلمية » وهو يتناول زمن الصبوة والنوع
الثالث « تربية المرء نفسه بنفسه » وهذه تمتد بقدر استعداد المرء
للاكتساب من مخالطة الناس ومعاشرتهم وسأبحث في كل نوع منها
على قدر الاستطاعة على اني قبل الولوج في الموضوع أبسط لمحة عن حالة
الوالدين وما يجب عليهما اتباعه لدى اولادهما بحيث يكون مقامهما مهتماً
لديهم وأوامرهما مطاعة منهم وتعاليمهما وارشاداتهما مفيدة لهم

المطلب الثاني

﴿ في الوالدين ﴾

رأى أحدهم ولداً في طريقه فاجتذب نظره اليه ما رآه فيه من امارات

الطيش والنزق وما كان يقذف به اخوانه ورفقائه من الشتائم والسباب وما يرميهم به من الحجارة فاقرب منه وسأله ما اسمك فاجابه « شيطان » قال وما اسم أبيك ؟ اجاب « شيطان » قال وما اسم أمك قال « شيطانة » قال وكيف ذلك . قال الولد إني اسمع ابي يدعوا مي شيطانة وأمي تسميه شيطاناً وكلاهما يناديني يا شيطان

ولا بدع فان الابوين هما أصل الأسرة ومن البديهي ان على الاصول ينبت الورق فلا يرجى من الشوك غنب ولا ينتظر من الشياطين رجال بل كما يكون الابوان ينشأ الاولاد . ولذلك فمن أول واجباتهما ان يحترم الواحد الآخر ويعامله باللطف والمعروف حتى يشب الاولاد على احترامهما كليهما هذا مع وجوب المحافظة على كل لفظة وإشارة وسكنة تبدو منهما ولا سيما بحضرة الاولاد بحيث لا يقتبسون عنهما ما لا يودانه لهم من العادات والأخلاق فان ذهن الولد أشبه بأسطوانة الحاكي (الفونوغراف) فهو يلتقط كل شيء يراه أو يسمعه أو يشعر به وخصوصاً اذا كان ذلك الشيء صادراً عن والديه لما له من الثقة العظيمة بهما فضلاً عن مخالطته إياهما وحدهما في زمن الصغر فهما والحالة هذه المثال الاكبر الذي يتخلق الاولاد بشكله وينسجون على منواله وعليه فاقول ما يلامس أعمال الوالدين من الخطأ والغلط ينتقل على صورته الى أذهان الاولاد ويعدّ لهما ذنب عظيم يعاقبان عليه في مستقبل الايام وذلك حينما يأتي زمن الحصاد زمن يجني فيه الآباء ثمار الحياة التي قضوها في سبيل تربية الابناء ويا لها من ساعة رهيبة تنفتت لها الأكباد ساعة

يعودون فيها من أولادهم بالخبية ومن الانسانية باللعنات
ومن أفضع الأغلاط التي يرتكبها الزوجان ان يلوم أحدهما الآخر
بحضور الاولاد على هفوة أتاها أو بادرة بدرت منه فان ذلك يقلل من
وقارهما وينقص من ثقة الاولاد بهما وعلى الوالدين أيضاً ان يكونا باشي
الوجه طلق المحيا يعاملان الاولاد معاملة تراوح بين الشدة واللين بحيث
يكونان في كلا الحالين محبوبين منهم ومطاعين في آن واحد لان الطاعة
من اركان التربية ولكنها اذا كانت ناتجة عن خوف الولد من مربيه
فهي قلما تفيده لأن تأثيرها لا يتجاوز ظاهر أعماله . فاذا ما حانت له فرصة
غياب مربيه أو غفلة منه داس القانون الذي وضعه له غير هيب ولا
وجل ولا خير في عمل يأتيه الانسان مرغماً

والانكليز من هذا القبيل أقدر الامم على اقتياد الأطفال بالرفق
والحب الى دائرة الطاعة

حدثني بعضهم قال : ذهبت مرة لزيارة احدي الأسر الانكليزية
فابصرت لدى دخولي ابن صاحب البيت وعمره خمس سنوات وكان واقفاً
على بعد خطوات مني فحييته فرد تحيتي بمثلها من بعيد ولم تكن تلك
عادته فسألته ان يقترب مني فأبى معتذراً بان أمه أمرته ان لا يتعدى الخط
الذي أمامه قال ذلك وأشار الى خط اسود يفصل بين قطع الرخام
فسررت من طاعته وأثنت على أدبه

فمن من أولادنا يطيع والديه مثل هذه الطاعة التامة التي تعود عليهم
بالفائدة وعلى الامهات بالراحة

ولكي تستتب السلطة للوالدين ويحتذبا اليهما قلوب الاطفال يجب ان يظهرهما بمظهر العدل والانصاف ويلبسا لكل حالة لبوسها اي ان يستعملا الشدة والعنف حينما يكون الاولاد مذنبين وفي غير ذلك من الاوقات ينبغي ان يعاملهم معاملته اصدقاء واقربان . ولا بأس من مباسطتهم وملاعبتهم واهدائهم اشياء تسرهم حتى اذا عوقب الولد يوماً بحرمانه تلك الملاطفة والملاعبة يشعر بنقص وألم . وقد يكون في امتناعهما مرة عن تقبيله ما هو اشد تأثيراً عليه من العقاب والضرب

على ان بعض الآباء يزعمون ان التربية تكون باظهار العنف والقسوة والتلبس بالخشونة والعبوسة فيرى الاب منهم مقطب الجبين في منزله كأنه آله للانتقام او مثال للارهاب فيجتنبه الاولاد ويتوارى كل منهم في زاوية خوفاً منه ورهبة من غضبه لا احتراماً له او حباً به وهذا ما يخالف قوانين التربية

يحكى عن جلالة امبراطور المانيا انه على سعة ملكه وعظم جبروته وما عرف عنه من القسوة في معاملة اولاده والتدقيق في تربيته انه كان يلعب اطفاله دائماً في ساعات فراغه من الاعمال وكثيراً ما كانوا يضعون في فمه لجاماً ويستاقونه كالجواد فيركب احدهم على ظهره ويعمل الآخر فيه السوط وهو يمشي على الاربع مقلداً بذلك الحيوانات بالرفس والتهيق واطفاله من حوله يقهقهون مسرورين

وبشاشة الوالدين في وقت الرضى هي بمثابة مكافئة للاولاد على صلاحهم كما ان استعمال القسوة والصرامة ضروري في تأديتهم وكلا

الامرين لازم في موضعه

ولا يخفى ما للاطفال من رقة القلب ولطف المزاج وسرعة التأثر فلا
يحسن بالآباء ان يكشفوهم مصائبهم او يفاجئوهم بما يثير مكان سرورهم
او حزنهم بل ان يتجلدوا لديهم على ما يكرهون ويتركوهم في بحبوحة الصفاء
يرتعون ومن الخطأ الفظيع اهمال اكثر اغنيائنا تربية اولادهم وتعليمهم
بانفسهم اعتقاداً منهم ان ما جمعه من الثروة والغنى يكفيهم مؤونة العلم
والترية فيكل الاب شؤونهم للأم وهذه تسلمهم لعناية الخدم. وقد فاتهم
ان المال وحده لا يصير رجلاً ولا نساء بل قد يكون معواناً للجهلة على الشر
لأنه يساعدهم على اتباع اهواء النفس والنفس أمارة بالسوء. فضلاً عن
ان عيشة الكسل والرخاء من شأنها ان تصغر الهمة وتخط العزيمة فيشب
الولد على الترف والتنعم معتقداً بدوام الحال فاذا جاء وقت اضطر فيه الى
العمل لم يكن ذا نشاط وذكاء بل يظل يتخبط في حياته تخبطاً يستهلك
على الغالب ثروته ويفضي به الى الفاقة والذل وعلى الجملة فان من أول
واجبات الابوين ولا سيما الأم التي هي رفيقة الولد ان تكون قدوة
حسنة لاولادها لا تأتي ما تريد صرفهم عنه ولا تنههم عن أمر وتأتي مثله
ولا تعدهم بشيء ثم تنكث بوعدها فانها بذلك تعلمهم الكذب والإخلاف
ولا تأمرهم بطول الاناة والحلم ثم تسخط عليهم لأقل هفوة ربما لا تستوجب
الغضب فيتدربون على الحدة والتبرم وسوء الخلق ومتى عرف الأبوان
كيف يملكان طباعهما ويحافظان على مقامهما في الاسرة زال معظم
الصعوبة من أمامهما ودانت لهما نفوس الصغار فيصبح في وسعهما حينئذ

ان يثا فيهم روح الفضائل والميل الى العمل والاقتصاد والاستقامة
والحشمة وبذلك يجدان فيهم يوماً رجالاً ذوي جد ونشاط يعملون على
خيرهم وخير إخوانهم في الانسانية ويخلصون الخدمة لوطنهم العزيز الذي
لا تقوم له قائمة الا بامثالهم ونساء مهذبات مثقفات قادرات على ارضاع
الاولاد لبان التربية الصحيحة فيفاخران بهم ويعتران بادابهم وفضائلهم

المطلب الثالث

﴿ في التربية الوالدية ﴾

تقسم التربية الوالدية الى قسمين بدنية وأدبية وكلتاها تبدئان من
ساعة ولادة الطفل لأنه متى فتح الطفل عينيه على العالم وبكى فاحتضنته
والدته وسكنته أو جاع فارضعته فعملها هذا يُعد تربية له وعليه فكما
يبدو فيه من عادات وملاكات فهي نتيجة التربية لأن الطفل يولد لا قوام
له في ذاته ولا قوة تعينه على معرفة الموجودات مما حواليه بل هو كائن
أُلقي في تيار هذا العالم وليس له من يقيه من اضطراب أمواجه سوى
تلك الأم التي ترأه وتعطف عليه فيظل في حمايتها متقلباً من حال الى
حال ومن دور الى دور وهو كلما ترعرع ظهرت فيه نتيجة تربيتها
أكثر فأكثر

وكثيراً ما نجد بين الاولاد من لا يسكت الا اذا كان محملاً فلا
تستريح والدته الا متى نام وقد لا يدع لها وقتاً للراحة بل يضطرها متى
نام الى ان تضعه في حجرها فاذا ألقته على الفراش استيقظ واستأنف

الصياح فتظل الأم منهمكة به لا تستطيع ان تأتي عملاً آخر في بيتها وربما لا يهنا له عيش الا اذا كانت حاملة الثدي في فيه دائماً وكثيراً ما تضطر الأم الى التعويض عن ثديها بحلمة اصطناعية يتلوى بها الطفل عن ازعاج والدته. وكذلك نرى في الاولاد من يطبق الاستلقاء على ظهره ساعات متوالية وهو يناغي ويلعب بيديه بدون أدنى ضجر حتى اذا ما دنا وقت الرضاع بكى وتماهل وربما وجد في تيقظ الأم ما لا يحتاج معه الى البكاء فهذا الفرق الذي نراه في الولدين على ما هو معلوم من مشابهة طباعهما ومطابقة تركيبهما في الأشهر الاولى ليس الا نتيجة التربية. فالاول عودته أمه ان يكون محملاً وان يأكل في اي وقت وساعة والآخر عودته ان يكون مستلقياً وان لا يطلب الغذاء الا في اوقات معلومة ذلك لان الاولى كانت اذا بكى طفلها القمته الثدي فاذا لم تنجح معها هذه الوسيلة حملته وجعلت تخطر به في المنزل فيصبح وهو لا يسكت الا على الحال التي تعودها في حين ان أم الآخر كانت اذا بكى طفلها تبحث عن أسباب بكائه فتزيلها فاذا استمر على البكاء تركته وشأنه الى ان يسكت من نفسه فيعلم من ثم ان الصياح لا يجديه فائدة وهكذا يدرج الولد على عادات مكتسبة تجعله يتخلق باخلاق خاصة ويتفرد باميال تميزه عن غيره من الاطفال فاذا كانت تلك العادات حسنة استراح الطفل وأراح أمه من عناء كثير وكان له من ذلك استعداد لاكتساب أشرف الخصال وحزم على اقتحام أعظم الأعمال وهذا ما يثبت لنا ان حياة الانسان في دوره الاول موكولة لعناية الام ورعايتها فهي التي تبث فيه روح المبادئ

والطباع بحسب ما توحى اليها فطرتها ومكاتها من الاختبار حتى اذا نما
الطفل جسماً وعقلاً نمت فيه تلك الأخلاق التي تأسس عليها وتأسلت
فيه طباع امه التي وكلت اليها الطبيعة أمر العناية به والاستئثار بتربيته
فهي اذن مسؤولة عن سوء أخلاقه ممدوحة على حسن طباعه

ولا يخفى ان الولد كالغصن الرطب تميل به الأهواء كيفما مالت ولهذا
يجب الاعتناء بهذيبه وتقويمه قبل ان يحف ويتصلب وهو بذلك
يختلف عن الحيوان الأعجم الذي لا يحتاج طبعاً إلا الى القوت ولا يدرك
شيئاً من واجبات التربية سوى ما تدفعه اليه السليقة من العناية بصغاره
حتى تبلغ السن التي تتمكن فيها من اعالة نفسها والاستقلال عن والديها
اما الانسان فانه مخلوق ادبي قابل للنمو العقلي كما هو قابل للنمو
الجسمي على ان هذا النمو لا يتم من تلقاء نفسه بل يلزم له من يعتني
بصحته ويقوم سيرته ويكسبه من الصفات الحسنة ما يؤهله للأعمال
السامية ويعظم ثقة الناس به ورضاهم عنه لانه لا غنى للواحد عن الكل
بل كل مفتقر الى ان يكون له علاقة مع بني جنسه فاذا لم يكن حاوياً
من شروط التهذيب والاستقامة ما يؤهله للدخول بينهم والتعامل معهم
سقط وكان ضربة على والديه ومصيبة على المجتمع الانساني

ولطالما رأينا من السيدات من لا تحسن سياسة الصغار لجهلها قواعد
التربية فيشب اولادها على التمرد والعصيان وقد اتصل الامر ببعضهم ان
يكيل لوالديه الصاع صاعين ويعيد اليها الشتيمة شتيمتين والضربة
ضربتين وهي مع ذلك تبسم له استحساناً ناسبة ما قاله الى الاطوار

الصبيانية فيحول اعتقادها بذلك دون عقابه وعلى هذا تنتظر بلوغه السن التي فيها يعقل معنى تلك القبايح فيعدل عنها من تلقاء نفسه وفاتها ان من شب على خلق شاب عليه وان العلم في الصغر كالنقش في الحجر وقد يتصل العجز بالأم الى ما وراء ذلك فتتوعد ولدها بشكايته الى أبيه كلما أتى ذنباً حتى اذا حضر ذلك الوالد المسكين متعباً منهوك القوى الجسدية والعقلية أخذت تزيد في همومه وتضاعف متاعبه بسرد عيوب ابنها وتقييح أعماله وحينئذ فيما ان يفضي الأب عن مساوي ابنه اكتفاء بما يساوره من الهموم الخصوصية وبذلك تسقط منزلة الأم في عيني الولد لما يراه من عدم اكتراث أبيه بكلامها وشكايتها أو يهيج غضب الأب لما هو عليه من التعب والانفعال فيؤنبه بعنف ويضربه بقسوة لأجل ذنب سلف أو اطفاء لنيران غضبه وفي كلتا الحالتين لا تفيد العقوبة الولد بل يتعلم منها احتقار والدته التي يحدها قاصرة عن تربيته بنفسها وكرهه والده الذي يعاقبه على ذنب مضى وبقسوة وحشية لوفرة الذنوب التي تبلغها عنه ومعلوم ان الولد لا يشعر بوقر الذنب إلا ساعة ارتكابه إياه ثم يزول هذا الشعور بزوال احمرار وجهه ولولا ذلك لما كان يخطئ ثانياً وثالثاً الى ما شاء صغر سنه فعاقبته إذن واجبة على أثر كل ذنب يأتيه والأعدها ظلاماً وعدواناً وأضرر بسببها كرهاً لوالديه وحقداً عليهما فاذا شب كان عقوقاً عاتياً لا يحترم لهما إرادة ولا يشعر نحوهما بانعطاف وحنان هذا فضلاً عما تجده الأم من التعب في سياسة أولادها مدة غياب أبيهم اذا كانوا لا يهابونها مثله ولا يطيعونها كما يطيعونه ولما كان الأب يغيب عادة النهار بطوله

كانت هي في عذاب دائم وعليه يجب ان تتولى هي بنفسها تربية الاولاد من عقاب ونصح وارشاد متخذة لكل من بنيتها وبناتها ما يوافق طباعه وأخلاقه من وسائل التهذيب ومتى فعلت ذلك نالت السلطان المطلق على أفكارهم وارادتهم وتمكنت من تربيتهن تربية حسنة واستراحت من آتاعاب كثيرة فان الأم الراقية التي تعرف واجبات الأمومة تستطيع ان تربي أولادها بدون مشقة كبيرة مهما كانوا كثاراً وتقدر مع ذلك ان تقوم باشغال اخرى عديدة كالأعمال المنزلية والدرس والمطالعة وغير ذلك من الأعمال النافعة ومما يساعدها على ذلك رابطة الالفة وعامل الحب الطبيعي بينها وبين أولادها فاذا عرفت كيف تستعمل تلك العواطف في سبيل فائدتهم خضعوا لها وكانت ثقتهم بها غير محدودة اذ لا ينكر ما للحب من السلطان على المخلوقات وما له من التأثير على القلوب والأفكار . ولما كان الولد يميل بالطبع الى والدته اكثر من سائر الناس فهو لا يرى إلا رأيها ولا يتبع إلا ارادتها وعليه فلا يحمل بالأم أن تهمل الاستفادة من هذه الثقة وتكل أمر العناية بأولادها الى الخدم الذين يجهلون قوانين التربية بل اذا كان فيهم من يعرفها فمن أين له نظرات الأم المؤثرة وابتساماتها الحلوة التي قد يكون منها أصدق مذهب وأحسن رادع عن الشر بل من أين له الحنان الوالدي الذي يجمع الصغار تحت جناح الحب والانصاف ويلحم فيما بينهم بلحمة الاخاء والوفاق بحيث لا يكون ثمة تحاسد أو تباغض بل يهتم كل من الاخوة بتقديم مصلحة أخيه على مصلحة نفسه . أما الأطفال الذين يحرمون هذه العناية فيشبون وهم أعداء لأنفسهم ولغيرهم لا يميلون على

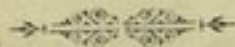
الاطلاق الى نفع سواهم وانما هذا الميل ينمو فيهم تدريجاً بعناية والديهم
حتى يبلغوا طوراً يرون فيه لزوم خدمة غيرهم ويقدرّون الفائدة التي تقرر
عليهم منها حق قدرها فيقومون بها عن طيبة خاطر ويعملون الواجب
عليهم نحو اخوانهم الذين تجمعهم وايام جامعة البشرية

واليكّن ما قاله شاعرنا الكريم حافظ أفندي ابراهيم

الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روضٌ ان تعهده الحيا بالري أورق ايما اوراق
الأم أستاذ الاساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق
الى ان قال :

ليست نساؤكم حلى وجواهرأ
ليست نساؤكم أثاثاً يقتنى
الى ان قال :

ربوا البنات على الفضيلة انما
وعليكم ان تستبين بناتكم
في الموقنين لهن خير وثاق
نور الهدى وعلى الحياء الباقي



المحاضرة الثانية

✽ التربية البدنية ✽

ان من يذهب الى المعرض الزراعي الذي يقام سنوياً في القاهرة
ويشاهد ما يعرض فيه من العجول المسمنة والخيول المطهمة وسائر
الحيوانات التي يدل على ظاهرها عناية اصحابها التامة بتربيتها ونظافتها
ويقابلها مع كثير من الاولاد الفقراء المتروكين لأيدي الجهل ورحمة القضاء
يدرك حالاً ان اكثر الاولاد ولا سيما في الطبقة المنحطة هم أقل حظاً من
اولئك الحيوانات لأنهم ينشأون في احضان القذارة وزوايا الاهمال
معرضين لتأثير البرد والحر وسائر المؤثرات الطبيعية يغطي الذباب عيونهم
وتفتك جراثيم الامراض بابدانهم فتودي بكثير منهم ومن عاش منهم
كان مسقوماً هزياً ضعيف البصر والبصيرة او كفيفهما لا يستطيع
ان يأتي عملاً يحتاج فيه الى الحزم والنشاط كالصناعة والتجارة والزراعة
وغیرها من الاعمال التي يقوم عليها نجاح الامة وثروتها وارتقاؤها وكذلك
النساء فانهم لا يتمكنون من القيام بواجباتهم الطبيعية والمنزلية حق القيام
ولو انصف والدو هؤلاء الاطفال المتروكين لخصومهم بجانب من
عنايتهم بالحيوانات استناداً الى نوااميس الطبيعة التي تجري احكامها على
جميع انواع الحيوان بغير استثناء سواء فيها الحصان والانسان لانهما في
الحقيقة واحد من حيث الاحتياج الى اسباب النمو واطالة الحياة هذا

إذا لم تقل أن الإنسان أحوج للعناية لما أنه يكون ضعيفاً جداً حين ولادته ثم ينشأ ويتقوى رويداً رويداً ولذلك وجب أن يدارى ضعفه طفلاً ثم يعود بدنه شيئاً فشيئاً على ما يطيقه ويلائم سنه من التأثيرات على أنه قد رسخ في أذهان الكثيرين أن العناية الصحية مضرّة بالاولاد لأنها تدعو إلى الرفاهة المرحلة للأبدان وأنه أفضل للاولاد أن يتركوا وشأنهم لعناية الطبيعة واعتياد تأثيراتها مقدمين شواهد على مدعاهم بعض أفراد نشأوا على إهمال قوانين الصحة واغفال ترتيب المعيشة ومع ذلك فهم أقوياء لا تؤثر فيهم العوارض الخارجية التي تؤثر في سواهم من المترفين

أجل أن كثرة الرفاهية تدعو إلى الضعف وتجعل في الجسم استعداداً للإصابة بالأمراض وهي ليست في شيء من قواعد الصحة وإنما الصحة تقوم بالمبالغة في النظافة وحسن اختيار المسكن وترتيب نظام المعيشة مع التعرض للتأثيرات الجائرة تخشيناً للأجسام وتقويةً للأعصاب وهذا غير الإهمال الذي يسبب كثرة الوفيات والابتلاء بأنواع الرمد والحُميات وغيرها من الأوبئة الفتاكة

فلكي تصان الأجسام من غوائل الأمراض والاسقام لا بد من الاهتمام بها في الصغر لأنه إذا استحكمت حلقات الضعف بالإنسان وهو طفل تسربت إليه الأمراض في الكبر بحيث لم يعد ينفع فيه علاج أو دواء وعلى ذلك يكون أمر العناية بالأطفال محصوراً بالأم وحدها لأنها هي التي تلازم الطفل وترضعه وتقوم بغسل جسده وترتيب ملابسه

والسهر على صحته لا يشاركها الزوج في ذلك لان عليه واجبات اخرى
تستغرق جميع اوقاته فلا يمكنه ان يساعد في خدمة الاطفال بل من
الضرورة ان يترك ذلك لعنايتها وهذا ما جعل الغربيين يهتمون اهتماماً
عظيماً بتربية المرأة وتعليمها اذ انها هي المربية لرجال المستقبل وعلى نسبة
حسن تربيتها يكون تقدم البلاد وتأخرها وعلى ذلك نرى ان البلاد
مدينة الامهات

ولا يخفى انه متى كانت الأم عاقلة متهذبة واحسنت العناية بصحة
ولدها والسهر عليه فانه يشب وفيه من القوة والنشاط وصفات الرجولة
والاقدام ما يدفعه الى تسنم أعلى المناصب ويؤهله الى اقتحام معترك
الحياة والفوز بالغنيمة التي يندشدها واما اذا كانت الأم جاهلة فانها تجازف
بحياة ولدها وثمره احشائها ليس باهمال ترتيب معيشته فقط بل بتعريضه
لامراض كثيرة بما تمسك به من الاعتقادات الفاسدة والاهام الخرافية
كترك الافذار متراكمة عليه رداً للعين واستعمال كثير من العلاجات
التي يصفها الدجالون المحتالون وجاراتها العجائز وهذه العلاجات اذا لم تمت
الطنل فانها تهدم جسمه وتفسد ذوقه فيشب ضعيفاً قليل الحزم جباناً
عديم الهمة معداً للاصابات المرضية والاضطرابات العقلية فالولد اذن
صناعة الأم وفرع منها بل نسخة عن صورة أخلاقها ونسمة من حياتها
فلنبحث في واجباتها نحوه وكيفية اعتنائها به

✓

—>>>—

المطاب الرابع

في تدبير الطفل عند ولادته

ان أول ما يجب الاهتمام به في تدبير الأطفال عند ولادتهم هو
النظافة التامة لأنها لازمة لسلامة أجسادهم ودفع الأضرار عنهم فعقب
ولادة الطفل يجب غسله حالاً بماء فاتر ويستدل على حرارة الماء بوضع
الكوع فيه حتى يشعر بأنه أعلى من حرارة الجسم بقليل وكذلك الصابون
فانه لازم لنظافة الطفل انما ينبغي التمييز بين أنواع الصابون فان منه ما
يؤثر على بشرة الطفل تأثيراً رديئاً لكثرة ما فيه من المواد القلوية وحذار
من ايصال الصابون الى عيني الطفل فان ذلك يحدث فيهما التهاباً والماء
لا يحمي عاقبته

وليكن معلوماً لدى الأمهات ان استعمال الماء لغسل الأطفال عند
ولادتهم لا تبعث على الخوف بل تفيد الصحة فائدة عظيمة وتقوي الاجسام
وتبعد عنها الاضرار والجرائم التي تهدد حياة الطفل في كل آن وكم من
اطفال تساخ أجسامهم وتضعف قواهم وتسلب عليهم الأمراض من تراكم
الأقذار وأدران الأوساخ

واكثر الامهات الشرقيات يدهن الأطفال عقب ولادتهم بماء
مذاب فيه ملح اعتقاداً بأنه يمنع التساخ من الجلد والتشقق فهذا خطأ
كثيراً مانبه اليه الاطباء لأنه فضلاً عن عدم فائدة الملح للطفل فهو
يؤثر على بشرته البضة تأثيراً لا يستطيع الكبار احتمالاه فضلاً عن الأطفال

ولا يجوز غسل الطفل بالأيدي بل بالسفنجة ناعمة أو بقطعة من
الفلانلا ثم يلف بقطعة دافية من القماش الناعم وتمسح أذناه ومنخره بقطعة
من القطن المطهر ملفوفة على بعضها لا بواسطة دبوس أو شيء صلب ثم
يترك مقدار عشرين دقيقة يتناول في أثناءها اللبن الى ان تعود حرارة جسمه
الى الحالة الطبيعية فلا يعود يتأثر من البرد ثم يلبس ملابسه بعد ان يذر
على جسمه مسحوق الأرز أو النشاء والحذر من استعمال الاسبيداج
الذي يستعمله بعض النساء فإنه مركب رصاصي شديد الضرر

وقد جرت العادة ان تقام حفلة للطفل ووالديه النفساء في المنزل
عند تمام الاسبوع على ولادته فهذا فضلاً عما فيه من الضرر للأم فإنه
يزعج الطفل كثيراً لأنه لا يجوز اخراج الطفل من غرفته قبل ان يتم
الاسبوعين واليكن ما جاء في كتاب العناية بالأطفال بهذا الصدد

(لا يجوز ان يخرج بالطفل من غرفته قبل ازمين الذي يؤهل جسمه
لتحمل الهواء والأفضل ان يخرج به تدريجاً فيؤخذ حيناً يصير ابن
اسبوعين من غرفة الى غرفة أخرى هواؤها أبرد قليلاً حتى يتدرج على
تحمل الهواء من غير ان يلحق به ضرر)

وقد أجمعت آراء الأطباء على وجوب اتقاء الضوضاء والأصوات
المزعجة حول الطفل فإنها تسبب له انزعاجاً عظيماً ولا بدع فأننا نرى الطفل
عند ولادته يستهل بالصياح مما يدل على تألمه لتغيير البيئة عليه وملازمة
الهواء جلده ونفذه الى مسالك التنفس حتى أقصى حويصلاتها وتأثير
أشعة النور على شبكيته الى غير ذلك من الأمور الغريبة عنه والمؤثرة

فيه فلا يصح ان يضاف اليها ما يزيد في اضطرابه كالجلبة والصياح والدق
بالهاون عند رأس الطفل الى غير ذلك مما يفعله بعضهن فان كل ذلك
يورثه اضطراباً قد يفضي به الى البله والجنون

ومما يجب الانتباه اليه وضع سرير الطفل بعيداً عن مجاري الهواء
وتغيير مكانه من وقت الى آخر بحيث لا يقع النور عليه من جهة واحدة
دائماً فيجذب نظره اليها ويسبب له حولاً أو انحرافاً في الجمجمة

المطلب الخامس

ارضاع الطفل

ان افضل غذاء جهزته الطبيعة للطفل هو لبن الأم لانه مركب
بشكل يصاح لتغذيته ويساعد على نموه متدرجاً معه بالكثافة التي تلائم
تدرجه بالنمو والقوة ولذلك ينبغي ان ترضع الأم طفلها بنفسها ولا يجوز
ان تختلف عن ارضاعه الا لما نفع صحي لانها قل ان تجد مرضعاً يلائم لبنها
حالة طفلها وصحته وسنه اما اذا اضطرت الأم للاستعانة بمرضع فمن
الواجب ان تعمل في انتقاءها على الطيب ومن ثم فلا ينبغي ان تترك
الطفل لعنايتها وحدها مهما كانت مستجعة من شروط الصحة والملائمة
لانه قد يطرأ عليها عوارض في مدة الارضاع تجفف لبنها او تنقصه
فتضطر بحكم الحاجة الى كتمان أمرها خوفاً من ان تطرد من خدمتها
أو ان تفقد راتبها فتدري الحال باطعام الطفل بعض أطعمة صمغية أو
لباب الخبز أو غير ذلك مما يصعب هضمه على الطفل ولا يقوم بغذائه فلا

تدري الأم ألا وقد هدم جسم ابنها ولزمته الاسقام والعاهات التي يصعب
او يستحيل شفاؤها وقد شاهدت أولاداً كثيرين مساقم الأجسام
ضعيفي الأعصاب الى حد الشلل تبدو فيهم دلائل البله وقلة الادراك ولدى
التحقيق وجدت ان أسباب ذلك جميعها ناتجة عن عدم صلاحية الغذاء
وانصراف الأم عن الاعتناء بولدها والسهر عليه كما يقضي عليها واجب
الامومة مسامة أمره الى ضئ غريبة لا تعرف شيئاً من قوانين الصحة ولا
تشعر بعاطفة الحنان التي تدفع الأم بدافع السليقة لرعاية الطفل

أما التغيرات التي تطرأ على اللبن فمنها ما يكون ناتجاً عن مرض
ومنها ما يكون عن نقص طبيعي لغير علة ظاهرة وأحياناً قد ينتج عن
الانفعالات النفسية كالخوف والحزن والغضب ومهما كانت هذه
الاسباب فهي تؤثر في اللبن فتتقصه أو تغير تركيبه فتجعله عسر الهضم
وفي بعض الأحوال سماً نافعاً يقتل الطفل سريعاً وعلى ذلك اشير على الأم
سواء كانت هي التي ترضع الطفل أو امرأة أخرى غيرها أن تستعين
بالرضاعة الصناعية التي سأفيض البحث عنها لما قد يطرأ على المرضع من
الاسباب المانعة لها من الارضاع فلا تكون ثمة حياة الطفل رهين تلك
الحوادث وهدفاً لسهام الاقدار هذا فضلاً عن ان الغذاء الصناعي يجعل
الولد في مأمن من تغيرات لبن الثدي ويوفر الراحة للأم أيضاً ويجعلها في
حل من التقيد الدائم بولدها بحيث تستطيع تركه بضع ساعات عند
الاقضاء اذا كانت هي التي تتولى ارضاعه ويقلل من كبرياء المرضع
واستبدادها اذا كانت امرأة مأجورة وليس منا من لم تعاني أو تسمع

باخبار المراضع وما تتحملة الامهات من مرّ العذاب في سبيل مداراتهنّ والصبر على مساوئهنّ وذلك اكراماً للطفل الذي لو تخلت عنه الظنومات جوعاً ولا سيما متى كان بالغاً السن التي يميز فيها بين الاشخاص فانه يأبى حينئذ قبول ثدي غيرها وهناك الطامة الكبرى والمصيبة التي تجبر الأم على الاذعان لاحكام المرضع وارادتها مهما كانت قاسية أما اذا تعود الطفل الرضاعة الصناعية واتضح للمرضع امكان الاستغناء عنها في أي وقت لتغيرت حالها وكان شأنها غير ما ذكرت من الاستبداد وسوء المعاملة

الرضاعة الصناعية - لقد اجمع مشاهير الاطباء على أن افضل نوع من انواع التغذية الصناعية هو لبن البقر ممزوجاً بالماء على مقادير تقل كلما تقدم الطفل بالعمر ويعطى بزجاجة بسيطة الصنع مألوسة الباطن لكي تنظف بسهولة فلا يبقى أثر للبن فيها بعد الرضاع ويركب عليها حامة متسعة الجوانب تسهيلاً لقلبها وغسلها من الداخل وقد استعاض الناس في أميركا الآن عن الزجاجات بفنجان من الفخار الصيني ذي انبوبة منحرفة تركب عليها حامة الارضاع وهو سواء كان زجاجة أو فنجاناً فغسله واجب قبل الاستعمال بحيث لا يبقى فيه أثر للبن القديم فيكون سبباً في افساد اللبن الجديد وخطراً على حياة الطفل

وافضل طريقة لغسل الزجاجات هي أن يبرش الصابون ناعماً ويغلى مع الماء الى أن يذوب فيحفظ في وعاء لحين الحاجة وحينئذ يسكب منه قليل في الزجاجات المراد تنظيفها وترج هنيئة ثم تغسل بالماء البارد جملة مرات الى أن يزول أثر الصابون منها وعلى الأم أن تباهر ذلك بنفسها حرصاً على

حياة طفلها من جهل الخادومات واهمالهن والافضل أن يعطى اللبن فترا
محلى بقليل من السكر ليشبه بذلك لبن الثدي ويكون مقبولا من الرضيع
غش اللبن — ومن أهم الشروط الصحية أن يكون اللبن جديداً
وخالياً من الجراثيم المرضية والأفضل أن يؤخذ من ضرع البقرة رأساً وذلك
أما باحراز بقرة في المنزل أو بابتياح اللبن من الذين يطوفون في الشوارع
بالبقر ويحلبونها على الأبواب امام ربة المنزل فانه افضل للتغذية من اللبن
الذي يباع في الاسواق والذي قد يكون ممزوجاً بلبن الجاموس ولبن الماعز
فيحصل اختلاف في تركيبه لا تحمد عاقبته فضلاً عن الاقدار التي يحملها
من الآنية التي يوضع فيها فان من يقف على ضفاف الترع والمستنقعات
ويعاين القرويات وهن يغسلن آنية اللبن بذلك الماء القذر الذي تشرب
منه الحيوانات وتطفو على وجهه الجثث يدرك حالاً مقدار الخطر الذي
ينجم عن الاغتذاء باللبن الذي يوضع فيها هذا فضلاً عن الغش الذي يعمد
اليه تجار اللبن في قطرنا واستخراج قشده ومزجه بماء النشاء والطباشير
ليحفظ قوامه ولونه والقرويات يمزجنه بماء الترع فيزداد الضرر بما تحمله
تلك المياه من جراثيم الامراض

غلي اللبن — ولغلي اللبن طرق كثيرة يطول بي شرحها وافضلها
التعقيم وهو ان يستعمل لذلك جهاز من الصفيح ذي غطاء محكم يشتمل
على زجاجات وحمالة لوضعها فيها وعند التعقيم توضع زجاجات اللبن في
الجهاز مسدودة سداً محكماً ويملاً الجهاز الى حد مبين في باطنه ويوضع
على النار حتى يبلغ درجة الغليان فينزل عن النار وتؤخذ منه الزجاجات

وتحفظ في مكان بارد لحين الاستعمال

ترتيب أوقات الرضاع - من الواجب ان يرضع الطفل في أوقات معلومة سواء كان الارضاع طبيعياً أو صناعياً وان يكون بين كل نوبة واخرى فسحة كافية للهضم ويقتضي لذلك ساعتان او اكثر في مدة الثلاثة أشهر الأولى وثلاث ساعات في الأربعة أشهر التي تليها وأربع ساعات فيما بقي الى الشهر التاسع أو العاشر وحينئذ يمكن فطامه الا اذا كانت حالته الصحية لا تسمح له بذلك فيوالى ارضاعه الى آخر الحول الأول

كمية الغذاء - أما كمية الغذاء فتختلف باختلاف عمر الطفل وحالته الطبيعية والأفضل ان يعول على قابليته في تقدير الكمية التي يحتاج اليها في كل وجبة فمتى كان الطفل صحيح الجسم ويرضع في أوقات مرتبة فهو يترك الثدي أو الزجاجة من تلقاء نفسه متى شعر بالشبع الا اذا ارغم على الاستزادة من الغذاء فقد يفعل ويكون له من وراء ذلك ضرر عظيم فضلاً عن انه يعتاد الشراهة في الغذاء

ولا شك في أن الطفل الذي يجوع لا بد ان يعطش أيضاً ولذلك يحسن بان يعطى ملعقة صغيرة من الماء الفاتر بين فترات الرضاع وخصوصاً في أيام الحر فتروي ظمأه وتجعله يكف عن البكاء وهي خير من ارضاعه كلما بكى لأن ادخال الطعام على الطعام يثقل على المعدة ويعطل وظيفة الهضم

وأما الماء فان له فائدة اخرى غير فائدة الإرواء وخصوصاً في اثناء الاسابيع الأولى وهي اراحة السكلى واتقاذها من كثير من الأمراض

تناقص اللبن — ومن المعلوم ان الموضع يجب ان تعتني بغذائها كي
يجود لبنها ويصلح للتغذية على ان من المراضع المأجورات من تكون فقيرة
لا تسمح لها الحال بتذوق الطعام الفاخر فاذا ما خدمت في بيوت الأغنياء
لا تلبث ان تفرط بالاكل الى حد البشم فتصاب بسوء الهضم الذي يفضي
الى نقص اللبن أو جفافه بتهً ولذلك يجب على الأم ان تلاحظها بالعناية
الدقيقة فلا تدعها تتجاوز في طعامها المقدار اللازم

وكثيراً ما تكون الأم قوية الجسم صحيحة البنية ولكن لبنها قليل
أو ناقص المواد الغذائية فعليها ان تلاحظ ذلك من عدم نمو الطفل النمو
الكافي ومن التجائه الى البكاء غالباً فيجب في هذه الحالة ان تكف عن
ارضاعه من ثديها حالاً لئلا يهزل ويسقم وتضطر أخيراً لتغذيته بلبن البقر
حين لا يكون معتاداً شربه فلا يقوى على هضمه وتزداد صحته تأخراً على
تأخر تغير للرضيع ان يغذى بالرضاعة الصناعية منذ ولادته من ان يفاجأ
بها بعد ان تضعف معدته ويعتل جسمه لسبب نقص الغذاء

الفطام — لقد اعتادت الامهات على فطام الأولاد فطاماً فجائياً أي
انهن يفصلن الولد عن ثديهن دفعة واحدة ويباشرن تغذيته بالاطعمة
المختلفة وقد يطعمنه من الماء كل الغليظة التي قد لا تهضمها معدة الكبار
فضلاً عن الصغار ولا يخفى ما في هذا التغيير الفجائي من التعب وما ينجم
عنه من الاضطراب في معدة الطفل وسوء الهضم الذي قد ينتهي
بامراض كثيرة هذا فضلاً عما يحدث للطفل من الآلام النفسانية لحرمانه
من لذة الرضاع فجأة وما يظهر عليه من التغيظ والحقد حتى انه في اكثر

الاحيان يقلق الاسرة بصراخه ويلجئ الأم الى الاختباء منه متحمة هم سياسته ومداراته فوق ما يؤلمها من احتباس اللبن بشديها فاجتناباً لكل ذلك يتدرج الطفل على الاكل قبل الفطام بثلاثة أشهر بحيث تألف معدته الغذاء ويقل رضاعه تدريجاً فلا يصاب بعسر الهضم ولا تشكو والدته من احتقان الثدي على أثر الفطام وهنا تظهر فائدة الرضاع الصناعي فانه اذا كانت قد سبقت للطفل عادة به لم يتأثر من انفصاله عن الثدي بل يجد في زجاجة خير عوض يتغذى به الى ان تصير معدته قادرة على هضم الاطعمة الاخرى

ومما يفيد الطفل في طور الفطام عصير البرتقال والعنب مع الماء يتناوله بملعقة أما الاطعمة النشائية فانها ثقيلة على المد ولا سيما ما كان منها ممزوجاً بالسكر فانه يستميل الولد الى الاكثار منه وتحميل النسجة جسمه اكثر مما تحتاج اليه من العناصر السكرية والنشائية فتسوء صحته

المطلب السادس

كسوة الطفل

خير الثياب للاطفال ما كان خفيفاً واسعاً لا يثقل على اجسامهم اللطيفة ولا يعاكس حركاتهم اللازمة لنمو اجسامهم وفي ايام الحر يستعمل للملابس نسيج القطن او الكتان اللين اما في الايام الباردة فينبغي تلبسهم ثياباً صوفية ناعمة اتقاء من تغيرات الجو الفجائية والافضل ان يكون نسيج الثياب خالياً من الصباغ ويكون زيتها بسيطاً مجرداً من

الزخرف بحيث يمكن غسلها كلما اتسخت فلا تجتمع المكروبات في ثيابها
ومن العادات المستهجنة عندنا لف الطفل بالاقطة لفاً مشدوداً
فمن الواجب ان تجنب الأمهات هذه العادة السمجة لان الاقطة تضغط
على صدر الطفل وامعائه وتعيق دورة الدم وحركة التنفس وكثيراً ما
يتسبب عنها موت الطفل وذهابه شهيد العادة

ومما يجب المحافظة عليه ايضاً ان تدنأ رجلا الطفل دائماً فقد قرر
احد مشاهير الاطباء الانكليز ان تدفئة الارجل للاطفال تدفع عنهم
امراضاً كثيرة اما عادة تغطية رأس الطفل في البيت فغير محمود العاقبة
وافل ما فيها من الضرر استحكامها من الطفل بحيث لو اهمل استعمالها
يوماً او ساعة اصاب بنزلة او زكام او غيرهما من العوارض

انواع الثياب — تتألف ثياب الطفل من قمص وعنابر تغطي
جسمه حتى اسفل بطنه ويحزم فوقها بحزام من النسيج اللين مقصوداً
بأنحراف لكي يتكيف مع تمدد البطن بدون ان ينال الطفل ضغط
كثير ويجب ان يكون الحزام عريضاً يغطي البطن واسفل الصدر
ويلبس الطفل فوق هذه اثواباً طويلة للنهار تغطي رجليه في مدة الاشهر
الاولى اما في الليل فيلبس قميص واسع طويل ايضاً والافضل ان يكون
القميص مفتوحاً من الورا كي يسهل تليسه للطفل وقد تحسن الأم
صنعاً اذا ادخلت الحزام القميص في الحزام الثوب وألبستهما للطفل دفعة
واحدة كي لا تتجدد الاحكام الداخلية فتقلق راحة الولد في نومه

ومن المعلوم ان الطفل حينما يلقى على سريريه مستيقظاً ويشعر في

تحريك يديه ورجليه يرتفع ثوبه وتنكشف رجلاه فاجتناباً لذلك تجذب اطراف الثوب وتربط بحيث يصبح الطفل كأنه في كيس ولكن يشترط في الثوب ان يكون طويلاً كي لا يضايق الطفل في حركته

وكذلك الحزام فانه كثيراً ما يرتفع الى ما تحت الابطين ويبقى البطن عارياً معرضاً لتأثير البرد وما ينجم عنه من المغص والاسهال ولذلك يعمل له تعليقة من القماش نفسه من الجهة الخلفية تجذب الى حفاظ مصنوع من القماش اللين بشكل مربع ويثنى من جهتيه حتى يصير مثلث الزوايا ثم يشد طرفاه العلويان حول بطن الطفل ويضم اليهما الطرف الثالث من بين الفخذين ويثبت الثلاثة فوق طرف الحزام من الجهة الامامية بدبوس انجليزي

ثم انه يجب تدفئة الملابس قبل استعمالها ولا سيما في الشتاء ومن الضروري نزع ملابس الطفل عند النوم واذا اضطرت الحاجة الأم الى استعمال الملابس القليلة لضيق ذات يدها فما عليها الا ان تنزعها عنه في المساء وتشرها في الهواء حتى يتطير ما عليها من رائحة الجسم والعرق وفي اليوم الثاني تلبسها للطفل بعد ان تنزع عنه ملابس النوم

غسل الملابس - تغسل الملابس بالماء والصابون ثم تشطف جيداً بالماء البارد حتى يزول اثر الصابون تماماً والا أثر بالجلد تأثيراً سيئاً والحذر من استعمال الصودا فانه يسبب تسليخاً في الجلد ولذلك يطلب من الأم ان تلاحظ بنفسها غسل ملابس طفلها حتى تحفظ حياته في هناء وسلام

وعند ما يبلغ الطفل الشهر السادس تستبدل ثيابه الطويلة بأقصر منها لا يزيد طولها عن الكعبين وتستبدل أيضاً جواربه القصيرة بجوارب طويلة تغطي الركبتين وحينئذ يمرن الطفل على لبس الأحذية اللينة التي لا نعل لها حتى اذا بلغ السن الذي يمكنه فيها المشي في الطرق يستعمل له احذية عريضة لا تضغط على اصابع رجليه ويكون لها نعل خفيف يقي الرجل من الرطوبة ومصادمة الحجارة

ومن الضروري ان يكون الحذاء يميناً وشمالاً بحيث يلائم شكل الرجلين الطبيعي وهذا امر قلما يبالي له الناس مع انه ضروري جداً لراحة الاطفال وصيانة اقدمهم من التشوه وينبغي ان يغطي الكعبين (الكاحلين) ويربط من الامام بالعري والشريط من غير ازرار

صدره لاستقبال اللعاب — يكثر سيلان اللعاب عند الاطفال في الاشهر الاولى فتبتل الثياب ويصاب الطفل بالنزلات والالتهابات الشعبية بما يناله جسمه من الرطوبة وعلى ذلك ينبغي استعمال صدره لاستقبال اللعاب تصنع من الكتان وتبطن بالشمع منعاً لنفوذ اللعاب الى الثياب وهي تكون مستديرة الاسفل تربط حول العنق وتتدلى فوق الصدر

وحينما يبتدىء الطفل بالحبو يصنع له ثوب على شكل كيس تقريباً يلبس فوق الثياب لوقايتها من الوسخ الذي ينتج من الحبو على الارض وهذا الثوب يسد من قاعدته ويترك فيه فتحتان للقدمين تبعد الواحدة عن الاخرى نحو خمسة عشر فيراطاً واكمام طويلة تقفل على الرسغ (المفصل)

ومن قوانين الصحة ان تغطي الثياب جميع أجزاء البدن ما عدا الوجه واطراف اليدين على انه قد سرت الينا عادة سيئة من الافرنج وهي تعرية الذراعين والساقين بحجة ان الهواء يقويها وهي حجة واهنة باقرار علمائهم انفسهم ومن أيسر مضارها ان البرد اذا مس ذراعي الولد قد يمتد تأثيره الى صدره فيصبح في خطر من الامراض الصدرية وهكذا الساقان فان البرد يسري منهما الى البطن فيسبب المغص والاسهال فضلاً عن انه اذا سقط الولد على الارض اثناء لعبه او رياضته وكانت ساقاه عاريتين جرح جلده وانسحجت بشرته لتعريها مما يقيها. اما اذا كان الحر شديداً فلا بأس اذا جعل لباس الذراعين من نسيج دقيق مع الاحتراس التام من التعرض للبرد لأنه مضر بالصحة في اي زمن اتفق وفي الجملة ينبغي ان تراعى قوانين الصحة في أمر كسوة الصغار كما في الكبار ان لم تقل اكثر لما يحتاج اليه الطفل من كثرة الاعتناء وزيادة الانتباه بسبب نحافة جسمه . على انه لا تنكر فائدة تعريض الاطفال للهواء والشمس ولكن على قدر ما تحمل اجسامهم لان الاطفال ليسوا سواء بالقوة والصبر على احتمال التأثيرات الطبيعية ولا يمكن ان تتخذ عيشة الاولاد في الارياف قياساً تجري عليه تربية اولاد المدن لان ذلك يختلف باختلاف العادة والمكان وفوق ذلك فان كثيرين يموتون في الارياف وفي المدن التي يتبع اهلها نظام التربية الريفية بسبب تعرضهم للبرد وحر الشمس ولا يعيش منهم الا قوي البنية من قبيل بقاء الانسب ولوراعوا القوانين الصحية في كلا المكانين لقلت الوفيات بين أطفالهم وزاد عدد سكان القطر زيادة عظيمة

المحاضرة الثالثة

المطلب السادس

﴿ سكنى الطفل ﴾

لقد أجمعت آراء الاطباء على ان اول شرط من شروط الصحة والعافية الهواء الجيد النقي فانه أعظم معين للانسان على الحياة وأقوى عضد له على دفع الملل والاسقام لانه يتقي دمه ويقوي أعضاء جسمه ويساعده على هضم الطعام وكذلك الشمس فان نورها لازم لقتل جراثيم الامراض والاحياء الصغيرة التي هي سبب الفساد وعلة كثير من الامراض المعدية ولذلك تختار لسكن الطفل الحجر التي يدخلها الهواء ونور الشمس

قال أحد مشاهير الاطباء « اعطني هواً نقياً فاستغني به عن العقاقير الطبية في معالجة الاجسام » وقال آخر « ان الغرفة التي يدخلها الهواء ونور الشمس لا يدخلها طيب » وكلما كانت المساكن مرتفعة عن سطح الارض كانت أصلح لحياة الاطفال لان الهواء يزداد نقاوة وجفافاً كلما ازداد ارتفاعاً اما الطبقات المنخفضة منه فهي غير صالحة للتنفس لانها مثقلة بالرطوبة ومشحونة في الغالب بأنواع الميكروبات المرضية والعناصر المضرة التي ترسب لثقلها فلا تستطيع التحليق كثيراً في الهواء لانه أخف منها وزناً

وينبغي تعهد غرفة الطفل بالنظافة وفتح النوافذ من وقت الى آخر لادخال الهواء النقي اليها والافضل تقليل الرياش فيها والاقتصار على

البسيط منه واللازم لراحة الولد وسلامته فان كثرة الاثاث والتأنيق بمضاعفة الانسجة التي تغطي بها الاسرة للزينة تمنع تخلل الهواء ولا بأس بوضع الستائر على النوافذ لكن لا ينبغي ان تكون مضاعفة ولا كثيرة الاثناء والمغابن لئلا تكون مجمعا للغبار ومستقرا للجراثيم المنتشرة فيه فاننا لو نظرنا بمجهر الى تلك الكرائيش التي تزين بها الاسرة وستائر النوافذ وغيرها من الاثاث الذي يهمل تنظيفه كل يوم نرى الوفا والوفا من الحيوانات المرضية التي لا تراها العين المجردة لصغر حجمها راتمة تنعم في تلك المهاد ومن حولها حواجز حصينة من الاثناء والطيات تصونها وتساعدها على التوالد والنمو حتى اذا بلغت أشدها طارت وانسلت مع الهواء الى جسم الطفل ففتكت به بلا شفقة ولا رحمة فالأفضل ان يكون الاثاث قليلا لانه كلما قلت الامتعة كانت الغرفة أدنى الى الشروط الصحية أما ارض الغرفة فتدهن بالثرنيش اذا كانت من الخشب والافتغى بالمشمع ويمسح بالماء في كل يوم فان ذلك أفضل من الكنس الذي يثير الغبار ويلصقه بالرياش ولا بأس بوضع السجاد فوقه بشرط ان يخرج خارجا وينفض جيدا والافوق ان يمسح بمحلول مضاد للفساد من وقت الى آخر فان ذلك مفيد للطفل ولا سيما متى بدأ بالحبو فان الغبار والاقذار تطاير منها عند ملامسته اياها فتفسد الهواء الذي يتنفسه فضلا عما يلصق منها بيديه اللتين كثيرا ما يضعهما في فمه فتنتقل الميكروبات الى جسمه بسرعة عجيبة

ويجب الاحتراس من ادخال مصابيح البترول الى حجر النوم فان

دخانها يفسد الهواء لما فيه من العناصر القتالة وافضل منها انارة الشمع على ان يكون محفوظاً بقالب كروي من الزجاج اتقاء من الحريق
 منام الطفل — يستعمل للطفل في الاشهر الاولى سرير هزاز يغطى بككة (ناموسية) من الشاش او «التول» وهذا افضل لاتساع خلاياه وسهولة نفوذ الهواء منه ولا يجوز ان يغطى السرير بملاءة او ما شاكلها من الاغطية الصفيقة بحجة انها تحفظ الطفل دافئاً فانها تحجب عنه الهواء وتسبب له الاختناق

ومن اقبح العادات واشدها خطراً ان ينام الطفل الى جانب امه او مرضعه في فراش واحد فان اجتماع انفاسهما يفسد الهواء ويؤثر على صحة الطفل لنحافة بنيته فضلاً عن ان قربه منها قد يكون باعثاً على ارضاعه ليلاً كلما بكى وفي ذلك ما فيه من الضرر له واصابة معدته بعسر الهضم وعدا ذلك فقد يحدث ان تستغرق والدته في النوم فتقلب عليه وتقتله او تجذب الغطاء فوق وجهه حتى تمنع عنه الهواء فيموت اختناقاً .
 ويجب ان يكون فراش الطفل ليناً ومغطى بملاءة من الكتان او القطن تطوى على مرتين او اكثر ويفصل بينها وبين الفراش بقطعة من المشمع تحفظه من البلل وتغير الملاءة حالما تبتل ولا بأس بلف قدمي الطفل بقطعة من الصوف الناعم في فصل الشتاء اما اذا بلغ الطفل سن الحداثة او اذا جاوزه سن الصغر فينبغي في فراشه ان يكون اميل الى الصلابة منه الى الهشاشة وافضل ما يتخذ منه الصوف النقي او القطن ويجتنب استعمال الريش او الزغب لما فيهما من القبول لاختزان الحرارة كما ينبغي ان يجتنب

الاستكثار من الدثر المتراكمة الشديدة الضبط للحرارة لان كل افراز من الجسم يكون سبباً لضعفه وكذلك الوسائد فان استعمال القطن فيها افضل من الريش ولا سيما وسائد الاطفال لما في الريش من الحرارة المؤذية للرأس

اما مواعيد نوم الاطفال فمن الواجب ان ترتب ترتيباً يشبه ترتيب مواعيد ارضاعه واذا كان الطفل كثير الارق فلا يجوز ان يسقى مخدراً (كابي النوم) واشباهه فانه يسقم الطفل وقد يقتله اذا اعطي بجرعات كبيرة ولا بد لأرق الولد من اسباب وهي اما ان تكون ثيابه مبتلة او حزامه مشدوداً او يوجد حشرات في سريره كالبق او البراغيث فتحرمه الراحة بلذعاتها او تكون معدته مثقلة بالغذاء فعلى الأم حينئذ ان تتدارك جميع ذلك بان تمهد السرير بالنظافة والتنقيب عما يقلق راحة طفلها ويسبب ارقه وتغير ملابسه في كل مساء وتواظب على مواعيد نومه وغذائه فاذا لم تنجح معه كل هذه الوسائل فيكون مريضاً يستوجب عناية الطبيب

اما ما تفعله الحاضنات في مثل هذه الاحوال من تسكيت الطفل تارة بالهز وطوراً بالهددة وحيناً بحمله على اذرعتهن والمشي في الغرفة او مناغاته فهذا كله لا يأتي بفائدة الا اذا اريد به مداعبة الطفل او ملاحظته وينبغي ان ينوم الطفل في الاشهر الاولى على ظهره ويميل قليلاً على احد جنبيه تارة الى اليمين وطوراً الى الشمال وبذلك يبقى الرأس على استدارته الطبيعية وتظل الاعضاء على استقامتها وبعد ذلك تترك الحرية

التامة للطفل ليتقلب في نومه على جنبه تارة او بطنه او ظهره اخرى لما في هذا التنقل من الفائدة للولد والراحة التامة لاعضاء جسمه والطفل الصغير ينام في حالة الصحة نحو ١٨ او ١٩ ساعة في اليوم اي انه لا يستيقظ الا وقت الرضاع والاستحمام وكلما تقدم في السن تقل ساعات نومه في النهار حتى يستغني عنهما شيئاً فشيئاً وهو في السنة الثالثة. ويقتصر حينئذ على النوم ليلاً ولما يبلغ السنة الرابعة والخامسة ينام في الساعة الثامنة ليلاً وفي السنة العاشرة الى الثانية عشرة ينام في الساعة التاسعة ويجب الحذر من وقوع اشعة النور على وجه الولد في حال نومه فان ذلك يسبب له ارقاً وكذلك لا يجوز ان يقبل او يمس عضو من اعضاء جسمه في حالة الرقاد الا عند الاضطراب لان المفاجئة باللمس قد تؤثر على شعوره تأثيراً مضرراً

اما اذا اصاب الولد بانحراف في صحته فعلى الأم ان تسهر عليه وتمرضه بنفسها ولا تترك امر العناية به للخدم بل تغير ملابسه بيدها وتحرص على راحته وابعاد كل ما يكدره او يضايقه من المناظر والاصوات وتجبره الدواء بنفسها محتفظة بزجاجة العلاج ووضعها في مكان لا تصل اليه ايدي الصغار او الخدم فقد تعددت حوادث الموت بسبب الابدال في العلاجات وتجريمها للاطفال خطأ

ومما ينبغي التنبه له ان لا يكون في غرفة المنام شيء من الازهار او الروائح العطرية لما لها من التأثير في الجهاز العصبي وما ينبعث من الازهار من الحوامض الكربونية التي تضر بالنائم ضرراً بليغاً

وما قيل في غرفة النوم ينطبق أيضاً على غرفة النهار من حيث المبالغة في نطاقها والافلال من الرياش فيها على انه يستحسن أن يوضع في هذه بعض النباتات والازهار وادوات اللعب وغير ذلك من الرسوم والصور التي تبهج نظر الولد وتستلفت بصره للسؤال عنها واستيضاح اشكالها

المطلب السابع

(غذاء الولد)

الغذاء لازم للحياة لزوم الماء والهواء لانه يكون الانسجة التي يتألف منها الجسم ويقوم بتجديد ما يفنى من دقائقها بسبب عملها الحيوي الدائم وهو ينتقل بعد هضمه الى الدم ويسير معه في الجسد فيوزع على الانسجة ما تحتاج اليه من الغذاء الذي يدخل في تركيبها ليخلف عليها ما يندثر فيها من الدقائق فيجب والحالة هذه أن يراعى في كمية الغذاء وكيفية شروط الصحة واحتياجات الجسم

ومن المعلوم ان الولد على صغر جثته أحوج من الكبار الى الغذاء الوافي لانماء بدنه فوق ما يتطلبه من التعويض عما يفنى من دقائقه ويشترط في الطعام أن يكون سهل الهضم لان الفائدة انما تتم للجسم بما تهضمه المعدة وليس بما يزدرده الانسان من المواد الغذائية فاذا كان الطعام عسر الهضم ذهب اكثره جزافاً ولم يتحول الى غذاء فعال سوى قسم قليل منه يكاد لا يكفي لحفظ كيان الانسجة ونموها

ترتيب مواعيد الطعام — ومن اللازم أيضاً ترتيب مواعيد الاكل للولد كترتيب مواعيد الرضاعة للطفل وذلك بأن يعين له ثلاث وجبات في النهار ولا بأس من أن يتخلل هذه الوجبات الثلاث فنجان من اللبن او ثمره من الفاكهة تمكن الولد من انتظار وقت الطعام ومن دواعي الاسف ان اكثر الامهات الشرقيات لا يبالين بهذا الترتيب بل يطعمن الاولاد في أي وقت اتفق بحيث لا يرون الا وكسر الخبز في ايديهم وانواع الحلوى في افواههم وهذا فضلاً عن انه يعسر الهضم فهو يذهب بشهية الطفل بحيث لا يشعر بقابلية لتناول الطعام في وقته المعين فيضعف جسمه من قلة ما يلحقه من الغذاء وتضعف معدته من توالي الطعام عليها بلا انتظام فضلاً عن ان هذه المعيشة تفسد حس الولد وتضعفه في كثير من الأحوال

كمية الطعام — تختلف كمية الطعام التي يحتاج اليها الولد باختلاف سنه ومقدار قابليته والاولى بالأم أن تستدل على شبع الولد من كفه عن الاكل من تلقاء نفسه فانه اصدق دليل على نيله حاجته منه . أما ما جرت عليه عادة بعض الامهات من كف الاولاد عن الطعام مع ما يرون من طلبهم المزيد منه خشية أن يبلغوا حد البشمة ان اطلق لهم العنان فهذا زعم فاسد ووهم باطل اذ ليس من دليل يدلهم على انهم نالوا حاجتهم منه الا اذا يقن بحكمتهم ان ثمّ نهماً حينئذ يجب أن يحذرن الاولاد من سوء عواقبه ويمنعنهم عن التماذي بالنصح والملاطفة لا بالعنف والفضاظة فان الاقلال من الطعام مضر كالاكثار منه وقد يكون الاقلال في بعض

الاحوال أشدّ ضرراً لانه يحول دون نمو الاولاد ويبلّهم بآفات متعددة وعدا ذلك فان أكثر ما يكون النهم ثمرة الحرمان وذلك بمقتضى الناموس الطبيعي المعروف برد الفعل وعلى ذلك قيل أحب شيء الى الانسان ما منع ويلاحظ في الاولاد ميل خاص لتناول الاطعمة الحلوة وفي ذلك دليل على ان طبيعتهم صادقة الدلالة على ما يلائمهم فان الحلوات من أفضل المآكل التي تولد الحرارة في الجسم فتخلف عليه ما يتلف من حرارته بالتشبع ولذلك صارت طبيعتهم تتطلبها وتدفعهم الى حبها واستمرارها فليس من العدل اذن أن يحرموا منها فانها مفيدة لصحتهم لازمة لنموهم

وكذلك الفواكه فانهم يميلون اليها وهي مفيدة لهم بدون شك ومغذية لاجسامهم وانما يجب أن تكون ناضجة واذا طبخت مع السكر فانها تكون اوفق للاولاد وأسهل للمضم ومن الاولاد من يكره بعض المآكل لسبب أو لغير سبب وقد يتأدى في ذلك اذا شعر من الأم تساهلاً فلا يبقى ثمث مطعم في ترضيته او سبيل لا قنائه بوجوب العدول عن هذه العادة السيئة فينتج عن ذلك تعب للام وتنغيص في حياتها ولا سيما من كثير عدد اولادها واختلفت اميالهم في المآكل بحيث ان ما يستطيعه هذا يعرض عنه الآخر وما تستمره هذه تكرهه الأخرى فتزداد بليتها وتحتّم على الاسرة بخاتم النكد والشقاء

وينشأ هذا الكره في الغالب عن وهم في الاولاد وفي الكبار ايضاً بدليل ان الولد اذا دخل المدرسة وجلس مع رفاقه الى مائدة الطعام لا يلبث ان يأكل كما يأكلون وكذلك الرجل اذا قضت عليه الاحوال بالتغرب

تذلل امياله وتعود اكل ما لم يكن يألفه قبلاً فعلى الام في مثل هذه الاحوال أن تجعل حداً لهذا الوهم في ولدها وتوقف مجراه في الصغر قبل ان يستفحل أمره في الكبر فتقنعه بوجوب تذوق الطعام شيئاً فشيئاً حتى يألفه فلا يأنف منه وفي الوقت نفسه تبين له ان امتناعه عن الاكل ضرب من الوهم مبعثه ضعف الارادة وانه من العيب والعجز أن يكون ضعيف العقل الى حد أن تملكه الاوهام . واني اعرف كثيرات من الامهات اللواتي نحون هذا النحو في تربية اولادهن فاستقامت امياله واصبحوا يأنفون من أن يظن فيهم شذوذاً في الاذواق ومن الواجب على الامهات اجتناب التنوق في المآكل غير انه يلزم تنويعها في كل وجبة لتكون امراً في ذوقهم وادعى الى تهيج قابليتهم

ويستحسن ملاطفة الاولاد على المائدة ومنحهم حرية تامة في تبادل الاحاديث المفرحة لان ذلك يزيد في شهيتهم ويساعدهم على سهولة الهضم ومن الامور المهمة التي يجدر بالامهات تعويد اولادهن عليها في الصغر مضغ الطعام جيداً قبل ابتلاعه والأثقل حملة على المعدة ولم يعد بالسهل استئصال تلك العادة منه في الكبر فيعيش حياته بطولها سقيماً الجسم سيء الهضم

حدث احد اطباء عن نفسه قال دُعيت لمعالجة رجل مصاب بعسر الهضم فلبثت مدة طويلة اعالجه حتى أعياني امره ولم أوفق الى دواء يشفيه . واتفق اني عدته يوماً وكان يأكل فجلست معه هنيهة ثم ما عتمت ان هتفت قائلاً : اني وجدت دواءً موافقاً يشفي معدتك بغير

شك وهو ان يكون مضغك للطعام اضعاف ما تفعله الآن فلما سمع العليل
قولي عدل عن ازدراد الأكل كما كان يفعل قبلاً وبذلك تحسنت حاله وزال
سقم معدته

ومما يجب تحذير الاطفال منه ايضاً اتهم الطعام بسرعة أو أكله
ساخناً جداً لأن ذلك مضر بهم وكذلك قضم الأشياء اليابسة فانه يؤدي
اسنانهم وبالجمله فان من الواجب تعليم الأولاد آداب المائدة حتى تصير
طبيعية فيهم لا يتكلمونها تكلماً في الكبر ولا يقعون في الخطأين الغريباء
هذا ما يتعلق بالأكل أما الشرب فاسوغه للأولاد الماء القراح الزلال
يسقونه كلما طلبوا الشرب اللهم إلا اذا كان عطشهم بعد النهوض عن
المائدة وقبل ان يتم الهضم او على أثر التعب المفرط لأنه يكون عطشاً
كاذباً واذا صبروا عليه هنيئة زال أوجهم وانكسرت حدة عطشهم

المطلب الثامن

(في الرياضة)

الرياضة من أشد الاشياء ضرورة لنمو الولد وحفظ صحته وتقوية
عضلاته فانها تسرع الحركة الدموية وتساعد الأعضاء على استجلاب
المواد اللازمة لحياتها بما تحدثه من سرعة التنفس واستنشاق الهواء بكميات
وافرة فضلاً عن انها تسرع الهضم وتزيد القابلية ولا يخفى ان الحركة تفقد
الجسم كثيراً من الغذاء فيسرع الهضم في تمثيل دوره حتى يعوض الجسم
تلك الخسارة

ولا تقتصر فائدة الرياضة على صحة الجسم فقط بل تتناول الدماغ فتنشطه وتبعث بالسرور الى النفس فتضيء اشعته أعماقها وتنشر شذاه في خلاياها فيستخفها الطرب وتستطيرها الآمال وبمعكس ذلك تكون الحال اذا لم ينل الجسد نصيبه من الرياضة فان الدورة الدموية تضعف وتخط قوة الأعصاب والتغذية وتهبط العضلات ويقل بروزها وتصفّر البشرة واذا زيد في الخمول والسكون ضعف عمل القلب والدماغ وانحطت قوة الأجهزة شيئاً فشيئاً ومن ثم يقل امتصاص القناة الهضمية للأغذية فيعقب ذلك استعدادٌ لسرعة التهيج والتأثر وانحراف في ضروب الحس والمشاعر فتحدث الاعراض العصبية التي أكثر ما تصيب نساءنا وخصوصاً الطبقة العالية منهن حيث تكثر لديهن الخدم وتتوفر اسباب الراحة والرفاهية فيترفعن عن الأعمال ويقضين الاوقات جالسات في منازلهن على بسط الكسل واذا خرجن في مركبات وسيارات حيث يجلسن بصدور خافقة من اثقال الملابس وضغط المشدات وبذلك تبقى اعضاء اجسامهن ساكنة هادئة فتبطىء حركة التغذية ويضعف احتراق الاطعمة في الجسم فيتلبد ما يزيد عن حاجته طبقات شحم بعضها فوق بعض ومتى بلغ الانسان حد الافراط من السمن نشأ عنده ضعف في القوى الدماغية وقلة نشاط في الأعمال وانحطاط في الحافظة وميل الى الافراط في النوم هذا فضلاً عما يلحق بظاهر الجسم من تشويه الخلقة بفقد تناسب الأعضاء وزوال جمال التركيب والصعوبة في المشي ومن الغريب مع ذلك ان نرى اكثر السيدات في الشرق يرغبن في السمن ولا يدخرن وسماً

في سبيل الاستزادة منه مع ما فيه من الضرر للصحة والمضادة للراحة والذوق
وقد ادركت الامم الغربية فائدة الرياضة الصحية فعمدوا اليها وتفننوا
في انواعها وخصوا لها من اوقاتهم ما جعلها في عداد الواجبات الضرورية
وتوسعوا في الاكثار من ضرورها ترغيباً للناس ولا سيما طلبة المدارس
فممنوا الجوائز للبارعين تنشيطاً لهم وتشجيعاً لسواهم

والرياضة على انواع كثيرة وكلها مفيد في تقوية الاجسام ومساعدة
الاعضاء على القيام بوظائفها . واقرب دليل على صحة هذا القول ما نراه
في الفعلة والمزارعين والصناع وغيرهم من اصحاب المهن والصناعات التي
تتطلب الاعمال الجسدية فانهم على قلة غذائهم وعدم ترتيب معيشتهم
اشداء الاجسام اقوياء البنية لا تؤثر فيهم تقلبات الجو تأثيرها في غيرهم
من المترفين

على ان من انواع الرياضة ما لا يوافق جميع الاجسام ومنها ما لا يتوفر
لجميع الناس على ان المشي افضلها وهو ما يستطيعه الجميع ولا سيما
السيدات . ويشترط في المشي ان يكون في الهواء الطلق النقي وان
لا يكون بعد الاكل مباشرة او في حالة فراغ المعدة تماماً

اما الاولاد فان نمو اجسامهم يتطلب الركض واللعب وما شاكل
ذلك من الحركات العضلية العنيفة ولا سيما متى دخلوا المدرسة وانكبوا
على الدروس بضع ساعات من النهار لا يمكنهم فيها مبارحة مكانهم
فيتولاهم السأم والضجر ان لم يسمح لهم بالرياضة واللعب فمن الواجب ان
يدفعوا اليه بالملاطفة واللين بعد اثناءهم عقلياً بوجوب الرياضة لانماء الجسم

والعقل معاً والتعويض بها عما فقدوه بمزاولة الدرس والمطالعة وان يوضع بين ايديهم من وسائل الرياضة ما يستميلهم اليه وان لا يكرهوا على نوع من اللعب لا يحبونه او لا تقوى اجسامهم النخيفة على احتماله لأن انفع اللعب ما يأتونه من تلقاء انفسهم ويتجهجون بمزاولته لا اللعب الذي يقترح عليهم فان هذا يكون حينئذ بمثابة باقي الواجبات التي يرغبون على القيام بها فلا يجدون فيه سروراً فتضيع الفائدة منه ومن الواجب أن يفهم الولد بان فترات اللعب هذه هي بمنزلة مكافأة له على طاعته لوالديه واجتهاده في دروسه وكلما كانت تلك المكافأة احب اليه كان على اكتسابها احرص ومن الظلم ان يزجر الاولاد عن الجلبة والضوضاء والقهقهة اثناء اللعب لان الصراخ يقوي الحنجرة والضحك ينعش القلب وهنا ملاحظة يجدر بالامهات التنبيه اليها وهي وجوب منع الاولاد من اللعب في الازقة والحارات فانه على قدر ما يكون من فائدة الرياضة لهم في اخلاء يكون الضرر من لعبهم في الطرق المتدانية المنازل حيث يفسد الهواء وتكثر الرطوبة والافساخ فضلاً عما يثيره الهواء من الغبار المتشبع بجراثيم الامراض وما يتعرض اليه الاولاد من اخطار العربات ومصادمة الحيوانات وما يتطرق الى مسامعهم من الفاظ الطبقة المنحطة من السابلة ولما كان اكثر البيوت في هذا القطر محروماً من الحداثق كان من الواجب ان يخصص للعب الاولاد غرفة واسعة النوافذ طلقة الهواء قليلة الاثاث فيمرحون فيها مدة الصغر ومتى دخلوا المدرسة وجدوا فيها من الاستعداد ما يكفي لترويض ابدانهم وفي الحاليين لا تنذر الأم عن تركها

اولادها في الطرق بل من الواجب ان تحرص عليهم داخل المنزل وبذلك
يسهل عليها كبح جماح ارادتهم فضلاً عما تكسبهم من الآداب الراقية
بوجودها معهم ومزاوتها نصحتهم وارشادهم في جميع احوالهم فاذا أغضت
عنهم ولو مرة واحدة او تساهلت معهم تعسر عليها بعد ذلك ردهم عن
الشوارع فتخط آدابهم ويتعرضون للاخطار التي سبق ذكرها ×××
على انه كيف كان الحال فلا بد من ارسال الاولاد الى المتنزهات
البعيدة عن ضوضاء المدن وقيود الرسميات وذلك في كل يوم او في كل
اسبوع مرتين على الأقل وهناك تطلق لهم الحرية في اللعب ورياضة
البدن فتتسع صدورهم المرنة وتقوى رئاتهم الصغيرة باستنشاق الهواء
النقي ومن الضروري ان تكون ملابسهم عندئذ بسيطة الزى لا واسعة
فيتعشرون باذيالها ولا ضيقة فتعيقهم عن الحركة وان لا تكون غالية الثمن
او كثيرة الزخرف حتى اذا دفعت بالولد طبيعته الى المرح والقفز وتكوين
التراب والتمرغ على الاعشاب فتزجره امه او خادمتها عن ذلك خوف ان
تسخ ثيابه وبذلك تصده عن رياضة ضرورية لنموه استبقاء على ثيابه
واني أنصح للامهات بمرافقة اولادهن الى المتنزهات وعدم تركهم
لعناية الخدم الذين يغلب عليهم الجهل والطيش ويكثر عددهم في بلادنا
الشرقية حيث نرى الحواضن والخادومات الوطنيات لا يدركن شيئاً من
واجب العناية بالاطفال ويكفيهن للدلالة على صحة هذا القول ان نقصد
الى المتنزهات والخدائق العمومية فنشاهد الخادومات مجتمعات يتبادلن
الاحاديث والقصص والاطفال متروكين جانباً هذا معرض لحرارة الشمس

المحرقة وذاك جالس على الحشيش الندي وآخر يقبض التراب ويضعه في
فمه أو يثفيه على رأسه وعينه وإذا اتفق للخادمة أن مالت بوجهها نحو
الولد ورأته على تلك الحال بادرت بالصياح وانهاالت عليه بالشتائم وقد
تتمادى بالقبح فتضر به أو تقرصه قاصدة بذلك القاء الرعب في قلبه

وما يقال في الخادومات الوطنيات يقال أيضاً في الخادومات الاوربيات
فإن هؤلاء لا يمتزن عن الوطنيات الا ببرقشة الظواهر لما ان اكثرهن
ان لم نقل كلهن من الطبقات السافلة ومعلوم ان الطبقات السافلة في
الشعوب الاوربية ما بعدها انحطاط في الآداب والتربية وفوق ذلك
فانهن على حقارة اصلهن لا يخلين من تلك الصفات الغالبة في اقوامهن
الا وهي احتقار الشرقيين والأزدراء بهم فينتج عن ذلك ان الاولاد صبياناً
وبنات يتشربون هذه المبادئ السافطة وينشأون على احترام كل شيء
غربي حتى السيئات واحتقار كل شيء شرقي حتى الحسنات

وعلى ذلك أنصح لكل والده منا بالسهر على اولادها في البيوت
ومرافقتهم في المنزهات حرصاً عليهم من الأخطار والآفات ولا بأس بما
تحمله الأم في هذا السبيل من التعب والامتناع في بعض الاحيان عن
الزيارات والمقابلات فانهم يكافئون على ذلك بما يجذنه في اولادهم من
حسن الآداب وصحة الاجسام وما يحرزن بواسطتهم من المجد والسعادة
والفخار في مستقبل الايام

المحاضرة الرابعة

المطلب التاسع

(في التربية الادبية)

لقد اختلفت آراء العلماء في الانسان من حيث صفاته الطبيعية فذهب فريق منهم الى ان اصول الآداب مودعة في النفس وقال غيرهم النفس أمانة بالسوء

وقال الشاعر العربي

والظلم من شيم النفوس فان تجدد ذا عفة فاعلة لا يظلم
وذهب فريق الى ان الولد يولد اما خيراً او شراً أي لا تأثير

للتربية عليه وعلى ذلك قالوا الطبع يغلب التطبع

وزعم غيرهم ان الطفل يولد على استعداد اما للخير او للشر وأنه يميل الى الوجه الذي يريده المربي وعلى ذلك لا يكون للانسان شيء من الصفات الفريزية بل كل ما فيه من الاخلاق مكتسب وبعبارة أخرى انه صنعة التربية

وبديهي ان هذا الاختلاف في آراء الباحثين قد نشأ عن تباين الصفات في البشر فهي ينما تسمو في بعضهم الى ذروة الفضائل والكمالات حتى ليداني بها الانسان مقام الملائكة اذا بها تسقط بغيرهم الى حضيض المفسد والنقائص بحيث يصبح الانسان شراً من الوحوش الضارية والافاعي السامة . وبينما هي تصلح أحياناً بفعل التربية حتى تبلغ حداً ما

وراءه زيادة في الفضل والادب اذا بها تعصى المربي وتنشأ على عكس ما يريد لها من الخير والصلاح حالة كونها قد تستقيم بالفطرة احياناً فتجعل أصحابها في عداد أهل الفضل والنبيل وان لم ينالوا أقل نصيب من التربية والتعليم

فما هو سبب الاختلاف العظيم في طبيعة هذا المخلوق العجيب وهل يختلف حظه في الوجود فيخلق اما خيراً او شراً وهو بعد طفل لم يأت حسنة يستحق لاجلها المكافأة ولم يقترف أثماً يستوجب لأجله العقاب وهل يعقل ان تكون صفاته تارة مرنة تتكيف بالشكل الذي يريده المربي وتارة صلبة لا يؤثر بها شيء من تعاليمه وارشاداته حالة كونه واحداً في التركيب . كلا . وانما هناك سبب مستقر في النفس لازم لتنازع البقاء الا وهو حب الذات

حب الذات ناموس طبيعي تخضع لأحكامه المخلوقات كافة في حفظ كيائها وعلى ذلك فكل عمل يأتيه الناس على اختلاف مراتبهم وأعمارهم انما يعود الى ما يرون فيه مصلحة لهم وفائدة في حفظ ذواتهم . غير ان الطرق التي يتخذونها لبلوغ غايتهم هي التي تختلف باختلاف مبادئهم وأميلهم . فالعالم الفاضل الذي ينفق سني حياته في سبيل ترقية بني جنسه واعلاء شأنهم . والحسود الجاهل الذي يعمل على الخط من منزلة ذوي العلم والفضل والطبيب الذي يعمل الخير في دفع الاسقام ومعالجة الامراض والاثيم الذي يقترف الجرائم بسرقة الاموال وقتل النفوس جميع هؤلاء يعملون لخدمة مصالحهم مدفوعين بعامل حب الذات وانما تختلف الطرق

والغايات التي يتوخاها كل منهم خدمة مصلحته فالسارق لا يسرق لمجرد
رغبته في أذية الآخرين أو لأنه خلق شريراً بل هو يسرق للانتفاع بما يحوزه
من السرقة حفظاً لكيانه وإنما يسلك تلك الخطّة التي لا يسلكها الفاضل
لأنه لم يتهذب نظيره ولا توفرت له وسائط التربية الصحيحة كما توفرت لذلك
وعليه فتكون التربية هي الوسطة الوحيدة الفعالة في تدميث أخلاق
الولد وتقويم سيرته والميل به إلى الخير والصالح ولكن ذلك لا يدل
دلالة قاطعة على أن في التربية العلاج الفعال الذي لا يكذب في حال من
الاحوال أو أن التربية توجد في الولد ما هو غير موجود فيه بالفطرة
فلعمري أن بعض الخلل المستهجنة قد تكون موروثّة من الآباء بل من
الجدود فيتعذر اصلاحها حتى لا أقول يستحيل وبعضها وإن لم يكن
موروثاً فقد يحول دون اصلاحه حائل طبيعي من بنية الولد أو من مزاجه
وكثيراً ما نشاهد اولاداً تتساوى شروط تربيّتهم وتتفاوت مع ذلك
أخلافهم لتلك العلة كما أننا نرى كثيرين قد خصوا بمواهب سامية دون
آخرين حتى أنهم على قلة وسائط التربية أحياناً يفوقون سواهم ممن ربي
تربية حسنة

على أنه مهما تأصلت المساوىء الموروثة في الإنسان فإنها تضعف
بفعل التربية القويمة شيئاً فشيئاً حتى تتلاشى أخيراً أن لم يكن في عهد
الفرد الواحد فعلى توالي الاحقاب والازمان

المطلب العاشر

(في تقويم الاخلاق)

تقدم لي القول ان تربية الصغار قائمة على ركنين مهمين أحدهما السلطان بالاضافة الى المربي وثانيهما الطاعة بالاضافة الى الولد الا ان السلطان ينبغي ان يكون مقترناً بالرفق في حزم اي منزهاً عن العنف في غير موضعه وعن التساهل والتسامح في غير موضعهما كما ان الطاعة ينبغي ان تكون ناشئة عن ثقة الولد بمربيه وتيقنه بانه يحبه وبانه لا يريد بما يأمره به سوى نجاحه وفائدته لا مجرد التحكم والاستبداد

ولما كانت التربية في الصغر تتعلق بالأم كما سبقت الاشارة الى ذلك فعليها ان تجتهد بحكمتها في امتلاك قياد ولدها بالنودد والملاطفة فاذا طلب شيئاً لا يوافق اعطائه اياه تمنعه عنه منعاً باتاً ولو مهما بكى وألح في طلبه فيفهم بعد ذلك انه لا فائدة من البكاء ولا مندوحة من الطاعة فيعود الامتثال لارادة والدته واذا حاول الولد ان يمس شيئاً نهته أمه عنه قبلاً فلا يوافق ان تحبسه عنه خوفاً من بكائه لأنها بذلك تجعله يأبى الامتناع عن مسك اي شيء ما لم يبعد عنه والأفضل في مثل هذه الحال ان تدع الشيء في مكانه وتوجب على ابنها عدم الدنو منه مقنعة اياه بوجوب الطاعة والامتثال لارادتها ومتى استمرت الأم على هذه المعاملة أصبح ذهن الولد كالشمع طواعية في يدها وامكنها ان تغرس فيه المبادئ الصحيحة والصفات الحسنة التي تتوخاها

ولا يستنتج من ذلك ان تضغط على عقله وتقييد افكاره الى حد

ان تزرع استقلاله وتقتل كل مميزاته لانه بذلك يشب على ضعف في عقله
وذل في نفسه واتقياد لرأي غيره بدون استعمال فكره والاخرى ان تعودده
الاعتماد على افكاره في تفهم الاشياء بحيث تقوى فيه قوة التصور
والاستنتاج . وكما تضطرها قيادة ولدها الى ان تكون حاكمة متسلطة على
ارادته كذلك توجب عليها ان تكون بمنزلة الصديقة له فتخص جانباً من
وقتها لمباسطته وتسليته تارة بارواء القصص المفيدة التي يميل اليها والتي
تكسبه أدباً وطوراً تحثه على الاعمال التي توافق سنه واميله وحيناً بتفهمه
أسرار الكائنات وغرائب أفعالها وكذلك سائر الاشياء التي تقع تحت
بصره او تستدعي انتباهه للسؤال عنها وبذلك تمكن فيه حب الاستطلاع
وتجعل فيه ميلاً واستعداداً لفهم العلوم الطبيعية وتسهل لديه درسها بعدئذ
في الكتب فضلاً عن انها بذلك تشر به محبتها وتجعله يستعذب معاشرتها
ويستلذ أحاديثها فوق ما يناله من الثقة بها والاعتقاد بعظيم عنايتها وحنوها
بعكس ما لو اقتصررت على تأييد سلطتها عليه بالقسوة والعنف والزجر
والضرب فانه ينفر منها ويطلب الابتعاد عنها ولا يصدق ان يتيسر له
الفرار من وجهها والاسراع الى خادماته واصدقائه وتكون نتيجة ذلك
تربيته على الخوف وسفالة الاخلاق فالكراهية والبغض لوالديه والمكر
والرياء والمخادعة والتعذر الى غير ذلك من الصفات التي كثيراً ما تؤدي
بالاولاد الى الفتك بوالديهم متى اشتد ساعدهم ووجدوا باباً للتخلص منهم
لأن النفس لا تذلل الا الى حين ولا تصبر على الضيم الا ريثما تجد واسطة
ومقدرة على دفعه

ورب معترضة نقول اننا نحن الشرقيات ليس أحسن منا قلباً على
الاولاد ولا اكثر منا حرصاً على هوائهم وسرورهم أجل اننا لكذلك
ولكن متى وكيف ؟

متى افترف الولد ذنباً ورام والده تأديبه تظهر الأم حينئذٍ حبها
وحنوها بأن تضم الولد بين ذراعيها وتحول دون اتمام قصد أبيه وكذلك
متى رأت أنه يبكي لجرح طفيف أصابه وهو يلعب بسكين كانت قد نهته
مراراً عن لمسه او متى رأت أنه عائداً من الكتاب حائقاً على معلمه لأنه عاقبه
على سوء تصرفه وقلة اجتهاده فانها لا تلبث في مثل هذه الأحوال ان
تقبله وتلاطفه وتسترضيه الى ان يذهب ما به من الغيظ والكدر . أفلا يدعى
عملها هذا حباً ؟ أجل انه لكذلك ولكن ياله من حب البغض أفضل
منه فانها كانت تحسن صنعاً لو وبخته بصرامة وقسوة وجفته حيناً لتؤكد
له انه قد أخطأ وانه يستوجب اكثر مما ناله من العقاب . هذا هو الحب
الحقيقي الذي يثمر ثماراً جيدة في الولد اما الملاطفة التي تضعها الأم في غير
موضعها من ابنها فانها وان كفكت دموعه في الحال فانها تقضي على
آدابه في المستقبل فضلاً عن انها تبعث به على الاستخفاف بأمه
والتمرد عليها

ولكي تجمع الأم بين محبة ولدها واحترامه لها يجب ان تسلك أمامه
مسلك الأدب والتعقل والصدق فان رامت توبيخه على ذنب أتاه فبالثاني
والتؤدة لا بالسخط والصياح والدعاء عليه فان ذلك يحط منزلتها في عينه
ومن الواجب ان تعدل في معاملة اولادها بحيث لا توجد مجالاً بينهم
(البقية تأتي)

للتحاسد والتباغض وان لا تحجب عنهم ما يحتاجون اليه فتعلمهم
بذلك السرقة

ويحذر بالام ان تنبه في ولدها عاطفة الشفقة^(١) على المصابين والمعوزين
وبذل المعونة لهم والسعي فيما يؤول الى سد حاجتهم مع الامتناع عن
تعذيب الانسان والحيوان والعفو عند المقدرة فاذا ما رامت ان تعطي
درهما لفقير فلتكلف ابنها او بنتها ان ينوب عنها بهذا الواجب وهكذا
عليها ان تنمي فيه كل ميل صالح وتردعه عن كل أمر قبيح فتربي فيه عادة
التلطف والأباء وكبر النفس واستقباح المخادعة والكذب والاستبداد
وكل خلة ذميمة تحط بشأن الانسان

ويحسن بالام ايضاً ان تفرض على اولادها صبياناً وبنات ان يقوموا
بأشغال منزلية خفيفة كنقل آنية غير قابلة للكسر من غرفة الى اخرى
او ترتيب بعض المفروشات الى غير ذلك من الاعمال التي تلائم سنهم فان
الولد ميال من طبعه لدوام الحركة فاذا لم يجد عملاً مفيداً يعمله يعمد الى
الضار منه كالتخريب والتكسير لان ذلك سهل عليه لا يستوجب معرفة
وتعلماً اما اذا تمرن الاولاد على الاعمال المفيدة فانهم يشعرون بسرور
وارتياح لانعامها ولا سيما اذا عينت الام جوائز لاكثرهم اتقاناً للاعمال فانهم
يقبلون بنشاط وبذلك يشبون على حب العمل ويجتهدون في ان يكونوا
مفيدة لانفسهم ولغيرهم

تروتي قد قصرت اكثر بحثي في التربية على الأم دون الأب وذلك

(١) انظر ملحق (١)

ليس لانه خال من المسؤولية في تهذيب اولاده بل بالعكس فان منزلة الاب والام واحدة من الحب للاولاد والاهتمام فيما يؤول خيرهم وفائدتهم ولكن واجبات الاب المعاشية تقضي عليه بعدم ملازمة الاولاد بعكس الام فانها تلازمهم دائماً وباستطاعتها وحدها تربيتهم اذا كانت حكيمة وفي هذه الحال لا يبقى للاب من واجب سوى ترك الحرية المطلقة لزوجته في تربيتهم واحترامها امامهم لتكون كلماتها مسموعة لديهم وارادتها مطاعة منهم اما اذا كانت جاهلة قوانين التربية فمن واجبات الأب ان يقوم مقامها في ارشادهم وتهذيبهم على قدر ما تسمح له اوقاته وتنبه الأم الى واجباتها من نحوهم بلطف وفي غياب الاولاد

على انه مهما كان الوالدان عارفين بقوانين التربية فلا بد لهما من الاستعانة بالدين^(١) وتفهم الولد ان فوق سلطتهما سلطة أعلى وأسمى تنفذ الى اعماق القلوب وتذكر من مكنوناتها ما يستطيع اخفائه عن ابويه وبذلك تتولد الفضائل وتنمو في نفسه ويصبح للتربية سلطة اقوى في تجنب الشرور والمعاصي وتقويم المبادئ المعوجة ومتى اقترنت التربية الصحيحة بالتقوى تغلبت الفضيلة في الولد واصبح قادراً على محاربة الاميال الشريرة ودفع سهام الحزن والتعصب واليأس عن فؤاده فضلاً عما يحرزه من تشييف العقل وتنوير الذهن الذي يعلم بواسطته فائدة الاديان ووجوب احترامها فيخلص بذلك من قيود التعصب التي تهدده في حياته المستقبلية سواء في المدرسة او في العالم

المحاضرة الخامسة

المطلب الحادي عشر

(في شوائب الاولاد وطريقة عقابهم عليها)

ان شوائب البشر وعيوبهم كلها ترجع الى اصلين كبيرين أحدهما حسي ينضاف الى البدن وهو الميل البهيمي والآخر معنوي ينضاف الى الذهن وهو الاثرة فاذا غلب الاول في طبيعة الولد مال الى الكسل والتهم والملاهي والتبذير واذا غلب الثاني ظهر فيه الحسد والحقد والفظاظة والكذب والبخل ولكن ما من خلقة من هذه الخلال الذميمة الا وبأزائها خصلة حميدة اذا اعتنى بانمائها وتربيتها في الصغر لاشت تلك أو عدلتها حتى تجعلها من المناقب الممدوحة مثلاً اذا كان من طبع المرء الاسراف فان التربية القويمة وما تنطوي عليه من علم الاقتصاد والتدبير قد تلاشي منه تلك الخلقة أو تحولها الى بسط اليد لتعزيد المشروعات العلمية والادبية والاعمال الخيرية وذلك بما تبثه فيه من الآداب الراقية وما تحببه اليه من الفضائل والصالح وكذلك الحسد فانه اذا لم يتلاش بفعل التربية فانه يتحول بصاحبه الى مباراة غيره في طلب المعالي ومسابقتهم الى سني المراتب فيستفيد بذلك نجاحاً وتقدماً ويكون مثلاً لغيره في بعد الهمة وخطارة النفس فالأم الحكيمة هي أقدر الناس على تربية جرائيم الصلاح في الولد وذلك انها كلما اطلمت على تقيصة فيه تبين له ضررها

وتحملة بالرفق والملاطفة على الافلاح عنها وملازمة الخصلة التي تضادها
بقدر الاستطاعة

اما وقد اتضحت اسباب الشوائب وطريقة اصلاحها فاقول ان
أجمع طرق العقاب واعدلها ما ينشأ طبعاً عن الخطأ الذي ارتكب لان
الطبيعة نفسها هي التي تعين جنسه ومقداره وهي التي تفرضه على المخطئ
لتعلمه بالخبرة انه ما تعدى احد نوااميسها الا عوقب فالطفل الذي يكسر
داحته (لعبته) يعاقب من طبعه بحرمانه منها فاذا تجاوز ذلك الى كسر
لعبة اخته عمداً ليؤذيها او لمحض التلهي فعلى الأم ان تقتدي بالطبيعة في
عقابه فتأخذ منه بعض ادوات لعبه او شيئاً آخر ذا قيمة عنده فتعطيه
لاخته وبذلك تعوض عليها ما اتلفه لها وتذيقه ايضاً مرارة فقدان ما يعزه
فيذكر ان عقوبته مسببة عن ذنبه وناشئة عنه لانها مجانسة له وهذا
النوع من العقاب يدعى عقاباً طبيعياً وهو افضل من الضرب وخلافه
الذي لا يشبهه جنس الجرم ولا يكون في الغالب مناسباً له بل يحمل
الولد على التظلم لعدم ادراكه في اكثر الاحوال نسبة العقوبة الى خطأه
اما لو اقتدت الأم بفعل الطبيعة في معاقبته فانه يدرك تلك النسبة ويقر
لنفسه بعدل العقوبة محاذراً من حلولها به ثانية ولزيادة الايضاح نقول
للأم انها اذا خاطت لابنتها ثوباً جديداً فدفعها الطيش الى تمزيقه سريعاً
او تلطيخه بالافذار غير محترسة عليه فتوبخها على ذلك وتكافئها ان تنظفه
او ترفأه بنفسها ان كان ذلك ممكناً والأفتدعها تلبسه متسخاً وممزقاً ليهزأ
بها اترابها وتغير هي نفسها منه فتعلم بعدئذ ان تحرص على ثيابها خوفاً من

ان تتعرض لمثل تلك الالهانة ثانية وذلك افضل من ان تضربها فتوجعها ثم تسرع لخياطة ثوب آخر لها . فان مثل هذا القصاص ليس من جنس الخطيئة ولا هو ناشئ بالطبع عنها فهي قلما تدرك ما بينه وبينها من العلاقة واذا ادركت شيئاً من ذلك فانها تنساه سريعاً ثم تعاود الذنب بخلاف ما لو كان القصاص طبيعياً ناشئاً عن الذنب فانه يذكرها كلما همت باعادة الخطأ فترتدع عنه حتى اذا خاطت لها ثوباً جديداً بعد ذلك وجدتها اكثر احتشاشاً عليه

وكذلك لو أهدي الأب ساعة لولده أو سكيناً لبري القلم أو دواة جميلة فلم يحتفظ بها بل أضاعها أو كسرهما فلا يسرع بأن يعوضه غيرها بل يدعه يذوق مرارة فقدحها مدة يشعر بأن ذلك قصاص على قلة اعتناؤه حتى اذا أعطاه غيرها بعد ذلك كان اكثر احتفاظاً بها واذا أضاعها أو كسرهما ثانية فيجدد القصاص عنه من الطبيعة ايضاً وبذلك يبقى الوالدون بمعزل عن أن ينسبهم الاولاد الى القساوة او يضررون لهم الحقد والحقد بل يلبثوا عندهم أصدقاء نصيحين يحذرونهم سوء العواقب لا أعداء بغيضين متحكمين يريدون لهم الأذى

هذا فيما يصدر عن الولد من الهفوات الصغيرة والخطايا اليسيرة فان تجاوز ذلك الى حد الغلظة او ارتكب ذنباً لا يمكن ان يفرض له عقاب طبيعي من جنسه فعلى الأم ان تغلظ له العقاب بحيث يعلم ان غلظته هي التي اوجبت له غلظة القصاص كما لو أخذ شيئاً من احد ولم يشكره عليه كما هو الواجب فعلى الأم ان تنبهه الى ذلك فان أبي طاعتها

فينبغي ان تلجئه ولو بالفهر الى ان يقوم بواجب الشكر وكذلك اذا اغلظ
بالكلام لاحد او رفع يده عليه فتضطره الى الاستغفار ممن اساء اليه ثم تباعده
مدة ليعلم ان فعلته هي التي اوجبت سخط امه وامتعاضاها فان ارتكب
ذنبا أعظم من هذه كالكذب مثلاً فعلى الأم ان تعززه وتؤنبه وتحبسه في
حجرته مدة ما . وان ارتكب خطايا يخشى ان تفضي عواقبها الى هلكته
او الاضرار به كما لو حاول القفز من شاهق او لعب بجارحة او تصدى
لغير ذلك من الافعال التي عقوبة الطبيعة عليها ذات خطر على حياته
فتأمره بالكف عنها مظهره له سوء العاقبة فان لم يرعو تعين عليها ان تكفه
عنها بالقوة المجبرة

ويحسن بالأم ان تشدد العقوبة على الكذب لأن الكذب شر
العيوب وأصل المعاصي ومتى هان على الانسان ارتكاب جريمة الكذب
هان عليه ارتكاب جميع الموبقات لا اعتقاده ان الكذب ينجيه منها
والكذب ليس من طبيعة الطفل ولا موجب له لديه بل هو
عارض عليه من تأثير التربية فتى اتى الولد ذنباً وأقر عنه اولا لدى السؤال
فاعاقبته امه او ضربته من اجل ذلك الذنب فلا ريب انه يميل بعد ذلك
الى انكار ما ينجيه من الذنوب هرباً من العقاب وهكذا يتعود الكذب
لانه يرى فيه منجاة له على حد قول الشاعر

والصدق ان أفاك تحت العطب لا خير فيه فاعتصم بالكذب
والأفضل ان تمتنع الأم عن قصاص الولد لدى اعترافه لها بخطيئته
وتكتفي بتحذيره من اتيان ذلك الخطأ ثانية مبينة له سوء العاقبة وبذلك

تشجعه على الاقرار بالحقيقة دائماً فيشب على الصدق والامانة ويكون طيب القلب مستقيم السير في مستقبله فتسمو منزلته بين الناس وتعظم ثقتهم به فضلاً عما يشعر هو به من راحة الفكر والضمير وما يتمكن بينه وبينهم من روابط الاستقامة والود بحيث تعتبر الهيئة الجامعة بذلك اسرة واحدة متصلاً بعضها ببعض بروابط المحبة والاخاء والفضيلة والشرف

المطلب الثاني عشر

(في ارفاف الذهن)

اذا نظرنا الى الطفل وهو بعد في مهده نجدده يحدق النظر في كل غريب يدنو منه ويتناول كل ما تقع عليه يده فيحمله الى فيه ويمض عليه وما ذلك الا رغبة منه في الاستطلاع والاستفهام وهكذا يشرع في ادراك المدركات وتفهمها بالاختبار والامتحان من تلقاء نفسه وعلى قدر استطاعته ثم متى ترعرع قليلاً يتدرج الى السؤال والاستخبار عن كل ما تقع عليه عيناه فاذا قطف زهرة او التقط حصاة او رأى ساعة أسرع الى الى والدته او حاضنته راغباً في معرفة شيء من أمرها تارة بالتاميح وتارة بالتصريح بقوله ماذا ولماذا وكيف هذا الى غير ذلك من الاسئلة التي لا يكاد يفتر عن طرحها علينا ولا نكاد نحن نفتر عن زجره عنها اعتقاداً بصعوبة تفهيمه اياها واذا جاوبناه عليها فكثيراً ما نجعل جوابنا قليل الفائدة او من باب المزاح^(١) مع الطفل فالأجدد بالأم ان تهتم باعانة الطبيعة على انماء ذهن الولد وتقويته اهتمام الزارع بالزرع فكما ان الزارع يتعهد زرع

ويقتلع ما ينبت في خلاله من شوك يخنقه وزوان يفسده فكذلك يجب على الأم أن تحرص على تقوية ذهن الولد وارهافه ليتها شيئاً فشيئاً لما سيلقى اليه من المعارف والعلوم الا ان ذلك يجب ان يكون رويداً رويداً بحسب ترتيب الطبيعة وتبعاً لمجراها لا ابتساراً ولا قسراً لأن كل ما نبثه او نثمه قسراً نعرضه لفقدان كثير من مزاياه الحسنة الطبيعية ونكون فيه كمن يستنبت شجرة في أرض حارة الاقليم فان شدة الحرارة قد تجعلها تثر سريعاً ولكن ثمرها يكون في الغالب تقهاً لا يستلذ طعمه لأنه ينضج في وقت قصير لا يتمكن به من امتصاص الغذاء الكافي من الأرض كما لو استنبت في أرض معتدلة الحرارة طيبة الهواء

وهذا الضرب من التعليم القسري هو عين ما نراه في بلادنا وفي غيرها من البلاد الاخرى ايضاً فانه لا يكاد الولد يبلغ الحول الرابع حتى يرسل الى المدرسة وهناك يبدأ في تعليمه اسماء حروف الهجاء ثم القراءة في كتب لا يكاد يفهم اكثر معانيها فيتعب عقله وينتهي به الامر الى الضجر والتذمر من القراءة والعلوم بأسرها هذا فضلاً عما يصاب به الولد ايضاً من ضعف الجسم وتأخر الصحة وقلة النمو

وعليه فلا ينبغي وضع الولد في المدرسة قبل ان يبلغ السنة السابعة على الأقل وفي اثناء هذه المدة يعلم بدون كتاب فيشرح له بطرق سهلة المأخذ الاشياء التي تقع تحت حواسه او تخطر بباله او تستلفت نظره^(١) سواء كانت في البيت او في الحديقة او في الخلاء او في البحر او كانت من اعضاء جسمه او ثيابه او من انواع الطير والحيوان او من المعادن

(١) انظر ملحق (٤)

والنباتات وهلم جرا فان ما يتعلمه على هذا النمط يكون احب اليه واكثر رسوخاً في ذهنه اذ يكون هو الذي سعى اليه وتنبه فكره له فيتعلمه بسرور وارتياح ولا سيما اذا التى اليه بطريقة مشوقة لا تزعج ذهنه

وفضلاً عن ذلك فان هذا النوع من التعليم انما يكون بالمباشرة والملازمة والامتحان والاختبار بالنفس وهذا ما يجعل العلم اكثر وضوحاً وأدعى لثقة الولد مما لو تعلمه بالكتب فاننا لو وضعنا قليلاً من الماء في طبق معرض للهواء ونور الشمس ثم بعد ساعة نبهنا الولد اليه لاستغرب من جفافه وحاول ان يفهم أين ذهب الماء فاذا بسطنا له حينئذ طريقة التبخر بفعل الشمس والهواء لادرك الحقيقة وسلم بها حالاً بعكس ما لو علمناه طريقة التبخر الطبيعي في الكتاب لان ذاك تيقن بالخبرة الشخصية وهذا في اول الامر تسليم بما يقوله الغير وشتان ما بينهما

ثم ان التعليم بالكتب وما فيها من القواعد العويصة يجري على خلاف سير الطبيعة في نمو عقل الولد فقد سبق لنا القول ان عقل الولد يكون في اول عمره ضعيفاً جداً ثم ينمو ويتقوى بتدرج نشوئه واما التعليم بالكتب فيبتدأ فيه بالكليات قبل الجزئيات التي تؤلفها ومعلوم ان من حق البسائط ان تتقدم على المركبات تقدم العلل على معلولاتها والمقدمات على نتائجها فالعلماء لم يتوصلوا الى وضع قواعد العلوم كلها الا بعد استقراءهم المفردات الداخلة في حكمها فارسطوطاليس الفيلسوف العظيم لم يتوصل الى وضع قوانين المنطق الا بعد استقراءه طرق الناس في التعليل والبرهان والاستدلال وضرب الاقيسة واستنتاج النتائج. لان

القواعد هي نتيجة استقراء الاحوال المفردة وتلخيص لها ولذا كان من الغلط البين أن نشرع في تعليم الولد قواعد العلوم كعلم النحو مثلاً من قبل ان يعرف شيئاً من الجمل المتنوعة التي يتركب منها الكلام في اصطلاح النحاة بل من قبل ان يعرف معاني الألفاظ المفردة التي تتألف منها تلك الجمل

وفضلاً عن ذلك فان الولد لا يفهم عبارة كتب العلوم لأنها بلغة غير لغته العامية التي لا يعرف بعد سواها ومعلوم ان الفرق عندنا بين اللغة الكتابية واللغة العامية عظيم جداً ولذلك يجهد الولد في حفظ قواعد الكتب ومفرداتها غيباً حتى تصير ذا كرتة كمعجم تقييد فيه الألفاظ او كدفتر تجمع فيه خواطر الآخرين وما حصله غيره من الباحثين وكان الأحرى ان يكون هو نفسه الباحث عن الخواطر والمحصل لها

فلا بدع والحالة هذه ان نرى كثيراً من الاولاد اذا خرجوا من المدارس ينسون اكثر القواعد التي تعبوا في تحفظها والتي يذكرونها منها قلما تفيدهم لانهم لم يتشربوها كما ينبغي ولا اختبروا صحتها بأنفسهم ولا انطبقت أحكامها عندهم على معلومات بسيطة تعلموها صغاراً وسبق رسوخها في اذهانهم بحيث اذا انضافت اليها تلك القواعد امتزجت بها وارتبطت ولذا تبقى متقلقلة متزعزعة وكل ما كان متزعزع الاساس لا بد ان يسقط على توالي الأيام

ومن ذلك كله تتضح فائدة تعليم الولد بالتلقين الشفاهي وهو طفل قبل ارساله الى المدرسة

المحاضرة السادسة

التربية العلمية

لقد أتيت بجئي في التربية العقلية على كيفية ارهاف ذهن الولد
واعداده لتلقي العلوم والآن أبحث في كيفية تعليمه

والفرق بين التربية والتعليم هو ان هذا قائم بتلقين الولد شيئاً من
المعارف بمقدار ما يتسع له عقله وتلك قائمة بارهاف ذهنه شيئاً فشيئاً ليتهيأ
ويستعد لقبول تلك المعارف . فالتعليم فرع من التربية لأنه مقصور على
امداد قريحة الولد بما يلائمها من العلوم أما التربية فتتناول ما فيه انماء بدنه
وتهذيب اخلاقه وتنوير عقله فكل من ربيناه فقد علمناه شيئاً ولكن
ليس كل من علمناه شيئاً فقد ربيناه

والتعليم يقسم الى قسمين التعليم البيتي والتعليم المدرسي فلنبحث في
كل منهما على حدة

المطلب الثالث عشر

تعليم الأطفال في بيوتهم

لا ريب ان الأم أفضل مدرسة اعدتها الطبيعة للولد لأنها ترافقه في
زمن طفولته وهو الزمن الذي يكون فيه عقله أكثر مرونة وقابلية للتأثر
بالتعاليم والارشادات

أجل ايها السيدات ان يتأ يضم من الأمهات امثال حضراتكن

فاضلات متعلمات لهُو افضل من المدرسة لأن المدرسة تجمع مئات من الصغار وكلهم على اختلاف مشاربهم وأمزجتهم وامياهم يسلمون لعناية معلم واحد قلما يكون اهلاً لتعليم آحاد منهم فضلاً عن الكثرة وذلك لأسباب سبسطها فيما بعد . أما الأم الحكيمة العاقلة فباستطاعتها ان تراعي طباع كل ولد من اولادها فتلقنه ما يوافق ميله وسنه واستعداده واحسن واسطة لتعليم الأطفال هي التلقين الشفاهي على نحو ما تقدم لي بيانه في التربية الأدبية مع زيادة التبسط في شرح الأسرار الطبيعية والعوامل الجوية وسائر المحسوسات التي تقع تحت بصره وتجذب اهتمامه للسؤال عنها

واذا اردنا ان نعلمه القراءة فبالطرق الحديثة المصطلح عليها الآن فاذا احكم معرفة صور الحروف نطقاً ورسمًا فينتقل به الى الكلمات المركبة من حرفين فثلاثة كأسم المهر والكلب مع صورها ثم يتدرج الى الجمل القصيرة التي تتركب منها هذه الأسماء ثم يتجاوز ذلك الى قصص صغيرة سهلة المأخذ تتلى على الولد في ساعات الفراغ وتفسر له ألفاظها الكتابية بلغة عامية يفهمها وبذلك تترقى لغته شيئاً فشيئاً بحيث يصير قادراً على تفهم اللغة الكتابية متى حان الوقت الذي يتعلم فيه بالكتب وفضلاً عن ذلك فانه يجد في سماع تلك القصص الصغيرة لذة وفكاهة تنمي فيه قوة الملاحظة والتصور وتجعل فيه ميلاً للمطالعة فيكتسب بذلك علماً وادباً فان رأت الأم ان تعلم ابنها شيئاً من اركان علم الحساب البسيط فلتتخير فرصة اعطائه بعض الأثمار او الحبوب فتجعله يعد ما معه ويضيف

اليه شيئاً ويسقط منه شيئاً ليعرف عدد ما يجتمع له منها او ما يبق وبذلك
يتوصل تدريجاً الى تعلم علم الحساب
ويحسن بالأم والأب ان يقرأاً جهاراً لدى اولادهما فصلاً من
كتاب مفيد كل يوم وبذلك يعودانهم النطق على وجه الصحة والمحافظة
على مخارج الحروف والأما كن التي يصح النبر فيها والوقوف عندها فاذا
ما اصبح لأولادهما الإمام بالقراءة فينيطان بهم هذا الواجب مناوبة وحينئذ
يحرصان على اصلاح خطأهم والاهتمام بتحسين نطقهم وافادتهم عن مغزى
ما يطالعونه في المصنفات الجليلة

ومن الخطأ ان نخاطب اطفالنا بألفاظ وكلمات لا وجود لها في اللغة
كالده للحمار والدوده للمصفور والننه للحوى او نلثغ بالحروف ظناً اننا
بذلك نسهل عليهم فهمها او اعتقاداً بانهم لا يستطيعون فهم الكلمات
الصحيحة والحال ان الطفل يلتقط الألفاظ بالمزاولة وليس بالقوة العقلية فلا
فرق عنده بين ان تكون صحيحة او سقيمة بدليل ما نطالعهُ من نظم
الأقدمين ونثرهم في حديثهم وما نشاهده بين الأم الأوربية الراقية من
النطق المعادل بصحته للغة كتبهم وهو الأمر الذي حرمننا منه نحن في
المصور الأخيرة لما دخل على لغتنا من الحشو والركاكة والاصطلاحات
الفاسدة بتقلب احوالنا وامتزاجنا بالأجانب

وقد تقدم لي القول في المحاضرة الماضية بعدم ارسال الأولاد الى
المدارس قبل ان يتموا الحول السابع وذلك لأسباب اهمها ان أقسام الجسد
تكون في السنين الأولى أخذة بالنمو السريع ولذلك يتحول اليها أكثر

أصول الدم وينصرف معظم قوى الجسد الى الأعمال الغذائية فاذا أُجهد العقل تحول قسم من هذه الأصول عن الأنسجة النامية واستخدم لأتمام وظيفة الدماغ فضعف الجسد وقل نموه هذا فضلاً عن ان اجتماع الأولاد في محل واحد ساعات متوالية في كل يوم واستنشاقهم هواء غير طلق يعرضهم للأمراض والأسقام زيادة عن البالغين لأن سرعة النمو في الصغار ونشاط وظائفهم الحيوية تجعلهم أكثر قابلية للتفاعل والتأثر ولذلك أجمع الأطباء على وجوب راحة العقل في الأطفال لان اكراه ادمغتهم على الأعمال العقلية تورثها تهيجاً قد يعقبه متى خمد نقص في تكوينها او تحويل في نشوئها او تشويه قسم من أقسامها وفي ذلك ما لا يخفى من الخطر على العقل والجسم معاً

ولذلك لا ينبغي ارسال الولد الى المدرسة الا بعد ان يتم السنة السابعة وحينئذ لا يباشر تعليمه بالكتب بل بالتلقين الشفاهي الى ان تنفذ الاشياء التي يستطيع تعليمه اياها شفاهاً ومن ثم يبدأ بتعليمه على الوجه الذي سنبينه في الفصل القادم

المطلب الرابع عشر

تعليم الاولاد في مدارسهم

ان غاية المدارس هي اولاً تقوية عقول الاولاد واجسادهم لكي تصير قادرة على قضاء الاشغال والقيام بمهمات الحياة ثانياً تهذيب اخلاقهم وثقيفهم بالعلوم والمعارف والآداب لكي يكونوا اعضاء نافعين في المجتمع

الانساني . هذه هي الغاية التي يجب ان تنشأ المدارس من اجلها وليس
القاء العلوم وتوفير انواع الدروس لان مجرد اكتساب المعارف الكثيرة
لا يقوي العقل ولا يزيد ذكاه ولا يساعد على توخي السبل القويمة
والاساليب الحسنة في الاعمال لأنه لا يربي فيه القوى اللازمة للتمييز
والاستنتاج والحكم والاستدلال وامتلاك الاميال والاعتماد على النفس
تلك القوى التي يتوقف عليها النجاح والفلاح في الحياة الدنيا ولكي تقوم
المدارس بتربية الاولاد وتثقيف عقولهم ينبغي ان تكون ذات رأس مال
يمكنها دخله من الاستمرار على عملها فلا تتكل على ما تحصله من
رواتب الطلبة اذ ان الرواتب لا تقوم بنفقاتها واجور اساتذتها وانما ذلك
يقوم على اريحية الموسرين من محبي الخير ومعضدي العلم الذين يجهدون
في سبيل نشر رايات المعارف ورفع شأن الوطن بما يبذلونه من انواع
المساعدة التي توفر للمدارس وسائل النجاح وتمكنها من تربية تلامذتها
وتقوية اجسامهم وتثقيف عقولهم

وقد ادرك الغربيون ذلك فنشطوا لمساعدة المدارس وعملوا على ترقيتها
وزيادة انتشارها فبذل الأغنياء اموالهم واستقطنوا الكتاب اقلامهم واجهد
رجال الاحكام عزائمهم في سبيل ناشئتهم وتهذيبهم وقد عنوا باختيار
اساتذتهم من العلماء النابغين الذين يعتمد عليهم في تهذيب الأخلاق ويليق
ان يكونوا قدوة للطلبة يقتدون بحاسن صفاتهم ووافر ادبهم ومعارفهم
ولا جرم ان من كان من ولايته ان يعمد نفس الولد فضلاً عن جسمه
ويهتم بدرسه ولعبه وتهذيب اخلاقه وتقويم سيرته لمن الواجب ان يكون

عظيماً بأدبه عظيماً بعقله وعلمه عظيماً بفضله وحسن ارشاداته
قال الاسكندر يوماً انه وان كان ابن فيلبس المكدوني جسماً فهو
ابن ارسطوطاليس نفساً لأنه ان كان فيلبس سبباً لحياته فارسطوطاليس
هو الذي علمه كيف يعيش مكرماً وما احسن ما قال الشاعر
أقدم استاذي على فضل والدي وان كان لي من والدي الفخر والشرف
فذاك مربى الروح والروح جوهر وهذا مربى الجسم والجسم من صدف
١٠ اما المدارس الشرقية فلا تزال في تأخر وانحطاط ومآلتها في عصر
وفاة فيضطررها ذلك في الغالب الى استخدام رجال غير اكفاء لمهنة
التعليم الشريفة ممن يرضون بالراتب الزهيد ولكنهم يكونون بالحقبة
حجر عثرة في سبيل العلم والآداب بل صخرة ضخمة في ساحة التقدم
والعمران لأن التلامذة يشبون على خطتهم الخرفاء ويستقون من سم
مبادئهم العوجاء فضلاً عن انهم لا يستفيدون من تعاليمهم الفائدة المنشودة
من المدارس بل جل ما يحصلونه مفردات علوم تحشى في اذهانهم حشواً
كما تحشى الوسادة قشاً فالولد الذي يترقى على هذا النمط يصبح وهو ابن
خمس عشرة سنة اعجوبة زمانه وناطقة عصره حفظاً لانواع القواعد العلمية
والقصائد الشعرية يتلوها كالحاكي (الفونغراف) فيتهج قلب والديه
ويفتخر به استاذه . ويترقب له الكل مستقبلاً حسناً ولكنه متى نزل
الى ميدان الاشغال فقلما ينجح اذ فاته العلم الصحيح الذي يخرج الذهن
وينبه الفهم ويجعل الرجل قادراً على ادراك معاني الحوادث وردها الى
اسبابها وتقدير عواقب الاعمال والتمييز بين الفاسد والصحيح من الاقوال

وقلما يكثر الناس عندنا لهذه الحقيقة وقد ينسبون للعلم أكثر
المضار التي تلم بالمعلمين والحال ان الضرر يتأتى من كيفية التعليم لا من
العلم نفسه

والتعليم يقوم على اربعة اركان مهمة وهي (١) واجبات المدارس
نحو المعلمين (٢) واجبات المعلمين نحو التلامذة (٣) واجبات
التلامذة نحو المدارس (٤) واجبات الوالدين نحو الاولاد والمعلمين
فواجبات المدارس نحو المعلمين هي ان تختار من الجهابذة افراداً نبغ
كل منهم في فن فيخصونه بتعليمه في مدارسهم مقابل راتب وافر
يوازي اتعابه فيقتصر على تلقين ذلك الفرع في ساعات قليلة من النهار وما
بقي من يومه يتفرغ فيه للمطالعة والتروى في الحقائق التي ينبغي ان يبثها
في صدور الطلبة والأساليب التي يوافق سبك افكاره فيها فان الأستاذ
لا يقوى على الوقوف نهاره بطوله امام تلامذته بين القاء وسماع وحض
وارشاد وشرح وبيان لما في ذلك من التعب الذي يضعف صحته وعقله
ويقهقر معارفه ويبعث به على الملل والضجر من تلك الحياة وفي هذه الحال
لا يتمكن من كثرة الشرح مع طول الاناة والنظر في مصلحة الطلبة على
ما يقضي به الواجب

ولا يكفي ان يكون المعلم ممن نبغوا في العلم واشتهروا بالفضل بل
يجب ايضاً ان يكون متضلعا بمهنة التعليم قديراً على ايضاح افكاره
باسلوب يسهل فهمه على الطلبة

قال الدكتور شبلي شميل في مجموعته (ينبغي ان يكون المعلمون

من الذين تربوا جيداً وبرعوا في علم الاخلاق حتى يدرسوا طبائع كل
تلميذ ويعاملوه بحسب طبيعته وينبغي ان يكونوا ايضاً من النبهاء
ليلاحظوا ميل كل تلميذ وقابلية عقله ليردعوه عن الفاسد وينشطوه في
الاستعداد الحسن . فان عقولاً كثيرة من اذكي العقول ينطفيء نورها
كل سنة في المدارس من سوء المعاملة ومقاومة اميال العقل)

وواجبات المعلمين نحو التلامذة هي ان يقدروا القوة العقلية
والجسدية لكل ولد فيعينوا له من الدروس ما يناسب حالة عقله وجسده
ودرجة نموها وان يفرغوا الجهد في حض الكسلان على الدرس والاجتهاد
بأخذ الوسائط الناجعة لذلك وان لا يجعلوا تفاوتاً بين التلامذة في المعاملة
بل ينظروا اليهم بعين المساواة والتودد وان يكونوا لهم مثلاً في المحافظة
على الآداب والصدق واللطف والحزم والمحافظة على الوقت

أما واجبات التلامذة نحو المدارس فمحسورة بطاعتهم لمعلمهم
واحترامهم لقوانين المدرسة واجتهادهم في دروسهم واصغائهم لتعاليم
أساتذتهم وارشاداتهم مع المواظبة على الرياضة الجسدية والعقلية
بقي واجبات الوالدين نحو المدارس فهذه تقوم باطلاع المعلم على اخلاق
اولادهم وسجاياهم ومعاييرهم تسهيلاً لما يتجشمه في تهذيب اخلاقهم وتثقيف
عقولهم لأنهم لما كانوا أعلم الناس بما يلائم اولادهم واكثرهم معرفة بحقيقة
اخلاقهم وماهية استعدادهم كانوا اجدر بمعاونة المعلم على تربية اولادهم تربية
حسنة وعليه يجب ان يلاحظوا بدقة واهتمام ويتبعوا خطواتهم حتى
يتكفوا بمعاونة المعلم من اصلاح حالهم وارشادهم الى السبيل السوي

بقي من الواجبات ما هو مشترك بين المدارس والوالدين وهي
الاهتمام بنظافة الاولاد وتعويدهم العناية بملا بسهم وتقليم أظافرهم وتحذيرهم
من نقل الدراهم لما تحمله من الأقدار والجرائم المرضية القتالة وحملهم على
الاقلاع عن عادة لحس الأصابع التي كثيراً ما يعتمد اليها الأولاد عند
تقليب صفحات الكتب وكذلك لحس الأقلام الرصاصية وقت الكتابة
ولحس الحبر عن الورق كلما راموا ازالة كلمة سطورها خطأ لما في هذه
العادات من الأمور المنافية للذوق والأدب فضلاً عن الاضرار بالصحة
واختتم محاضرتي هذه بإيراد ملاحظة جديرة باهتمام الوالدين والمعلمين
وهي اننا نستعجل الولد بالنمو العقلي فاذا انسنا منه مقدرة على حساب
الارقام مثلاً فنأخذ بالقاء الاسئلة عليه ودفعه الى حل المشكلات منها
وننتهج كثيراً اذا رأيناه وهو ابن ثماني سنوات ملماً بجداول فيثاغوروس
والحال ان الولد الذي يسرع نضج ذهنه قبل ابانه فانه يفرغ ما في وطابه
وهو حدث ثم يقف كالولد الذي تشب قامته قبل الوقت وكثيراً ما
يموت مختضراً وان عاش عاش سقيماً وعلى الجملة فلا تترقب ان يكون الولد
اليافع كالكهل قوة وعقلاً كما اننا لا نرجو ان يبلغ حد الكمال المطلق
احد من الناس فان الكمال لله وحده

المحاضرة السابعة

المطلب الخامس عشر

﴿ في تربية الولد باعتبار الصناعة ﴾

من المعلوم ان الناس منقسمون باعتبار مركزهم و ثروتهم الى طبقات
يختلف كل منها عن الاخرى منزلة واستعداداً . وعليه ينبغي ان تكون
التربية العلمية على انواع يلائم كل منها احدى تلك الطبقات فمن كان من
أهل الطبقة العالية يجب ان يلحق العلوم الكمالية التي ترشحه لما قد يتولاه
يوماً من الاعمال العظيمة كالقضاء والسفارة والرئاسة وغير ذلك من
الامور المهمة

ومن كان من الطبقة المتوسطة وبدا فيه استعداد وميل للفنون الجميلة
او الطب او المحاماة او التجارة فمن الواجب ان يُعنى بتلقيه العلوم التي
تساعده على اتقان تلك الحرف بالممارسة

أما من كان من طبقة العوام فالأفضل ان يربي تربية عامية تؤهله
لأن يكون عاملاً بيده لكسب معاشه وذلك ان يتعلم اصول الحرفة التي
يميل اليها علماً عقلياً متقناً يساعده بعد ذلك على ممارستها عملاً ويكون
ثمّة في وسعه ان يوفيه حقها من الاحكام والاتقان ولما كانت الاعمال على
انواعها لا تحصل بالعلم وحده فمن الضروري ان يصحب التعليم العقلي
شيء من التعليم العملي وهو ما نرى مدارسنا ساعية اليه في هذه الايام

ومن واجبات الوالدين أولاً والمعلمين ثانياً ان يراعوا ميل الولد واستعداده للصناعة التي يحملونه على تعلمها وذلك ان يراقبوه منذ الصغر ليروا اي عمل يميل اليه بالطبع وأي شيء هو أكثر استيقافاً لفكره واستلفاتاً لنظره واي علم يكون أبرع فيه وأكثر ارتياحاً لتحصيله فيتخذوا من ذلك دليلاً على ميله الخاص اليه واستعداده الغريزي له ومتى توفقوا الى ذلك وجب ان يبذروا بذوره في تربة عقله ويحولوا افكاره الى وجوب اتقانه ودرس العلوم التي تساعد على زيادة الانتفاع به والاثراء بواسطته فانه من الخطأ ان يحمل الولد على معاطاة صناعة او تعلم فن لا يلائم ميله وحالته وليس في سجيته استعداد له اذ انه لا يمكن ان يبرع به او ينجح بواسطته كما لو تبينا في عقل الولد وهماً او عدم ميل لعلم الرياضيات فلا يعقل ان يكون يوماً مهندساً بارعاً او رياضياً مشهوراً وكذلك اذا كان ابن أبوين فقيرين فانه من العبث ان يتعلم فن التجارة لما يستلزم ذلك من المال وهكذا اذا كان فيه بعض العاهات كضعف البصر فلا يجوز ان يتعلم فن الصياغة مثلاً بل من الواجب في كل حال ان تراعى حالة الولد وقابليته للعلم فيتلقن منه ما كان ملائماً لحالته الطبيعية لازماً لحياته العملية أما في الشرق فان المدارس كانت لعهد قريب متشابهة في انواع علومها مقصورة في جميعها عن حاجة الأهلين ولم يكن الوالدون يبالون في أمر مستقبل بنينهم بل كان ولا يزال العاقل منهم من يهتم بتعليم ولده الى أن ينال الشهادة ومن ثم يقف متنفساً نفس الراحة كأنما واجباته الوالدية قد انتهت عند هذا الحد من الاهتمام وقد فاتته ان العلم وحده لا يضمن

نجاح مستقبل الولد بل كثيراً ما يكون سبب شقائه وفقره وذلك لانه
يبعث به على الخيلاء والتمسك بأذيال المجد والعلاء بحيث يأنف من الأعمال
الصغيرة بينما ان ضيق ذات يده أو صروف حوادث دهره تحول بينه
وبين بلوغ ما يتمنى من الأعمال العظيمة التي تناسب مقامه العالمي فاذا لم
يقيض له الحظ خدمة في الحكومة او يسخر له من يمد به بالمال لانشاء
مصرف او ما شابه من الأعمال ظل حياته بطولها بين عراق وجهاد الى
أن تنفذ عزيمته شبابيه رويداً رويداً فيعود قائماً من دخله بما هو
دون الكفاف

ومن ذلك يتضح ان العلوم لا يوافق أن تكون واحدة لكل من
افراد الناس فانه كما لا يحسن أن يكون جميع الناس نجارين او بنائين أو
حدادين كذلك لا يناسب ان يكون الجميع أصحاب بكوريا بل الأفضل
ان يتحول كل منهم الى وجهة عملية صناعية كانت او زراعية وقد تنبّهت
حكومتنا الساهرة الى هذا الأمر فنشطت في السنوات الاخيرة لاصلاح
حالة التعليم والعناية بتربية العوام تربية علمية عملية توافق حالتهم وساعدها
في ذلك رجل الفضل والنبل دولة الأمير حسين كامل باشا فانشأ بهيمته
وسعيه مدرسة صناعية في دمنهور وكذلك دولة الأمير يوسف كمال باشا
المشهور بفضله واحسانه فانه لبي داعي الوطنية الصادقة وانشأ من ماله
مدرسة الفنون الجميلة في مصر وأملنا ان يحذو حذوها جميع اعيان الأمة
ويرفعوا شأن المدارس الى الحد الكاف لنجاح اولادها على اختلاف
طبقاتهم وبذلك تصلح احوالنا ويشب كل من اولادنا على علم تام من

أمر مستقبله واستعداد لعمل موافق لذوقه ومقدرته بحيث لا يخطر له يوماً أن يعود عنه أو يأنف من معاطاته بل يتحول إليه بكل قواه ويبذل جهده في اتقانه والتفوق بعمله كما هي الحال في البلدان الراقية

وقد تقدم لنا القول ان الاهتمام بمستقبل الولد ومعرفة نوع العمل الملائم له لا يتمان إلا بعد اختبار ميله واستعداده ولما كانت الأم أقرب الناس الى الولد وأكثرهم ملازمة له فهي ولا شك أقدر على معرفة حاله ودرس اخلاقه ولا سيما بما أوتيت من قوة الفراسة ورقة الشعور فضلاً عن رابطة الالفة والعشرة التي تمزج روحها بروح ولدها بما يجعلها أكثر اختباراً بأسرار امياله واشد تأثيراً على افكاره وعلى ذلك فيكون من أهم واجباتها ان تشارك الرجل في امر مستقبل ولدهما وتحدد معه تربيته وبذلك تضمن له النجاح والفلاح

المطلب السادس عشر

(في تربية الفتاة العلمية)

تقدم لي القول في التربية العلمية في المحاضرة الماضية ان تعليم الصبيان يجب ان يختلف باختلاف طبقات الناس ودرجة استعدادهم وماهية الوجهة التي يقصدونها في تحصيل رزقهم وذلك اقتصاداً للوقت وسعيًا لا تقان العمل او الحرفة التي يرومون تعلمها فالطبيب مثلاً لا تهمة اصول فن التجارة واذا علمناه الحساب وعلم مسك الدفاتر فانما نكون قد اضعنا وقته عبثاً وصرفنا قوة عقله عن اتقان علم الطب الذي يحتاج اليه

وكذلك الخياط لا يفيد ان يتعلم كيفية تركيب الادوية وماهية العقاقير
التي تتألف منها بل ذلك من شأن الصيدلي وهكذا سائر الاعمال فان
كلاً منها قائم بنفسه لا يضطر الرجل الى اشراك اعمال اخرى به
أما المرأة فحالتها غير حالة الرجل وهي واحدة فيها سواء الزوجة او
الوالدة وواجباتها لا تتغير في حالتي الفقر والغنى بل هي دائماً في حاجة
الى تربية اولادها والسهر على راحة رجلها وتمريضه والحرص على امواله
وخدمة أسرته وخياطة ملابسها الى غير ذلك من الأعمال النسائية
العظيمة الأهمية فضلاً عما تصادفه في حياتها من اخطار اليتيم والترمل
والشكل والضيق والفاقة وما تقع فيه من مشاكل الوراثة والوصاية والبيع
والشراء الأمور التي كثيراً ما ينجم عنها ذهاب اموالها وضياح حقوقها متى
كانت جاهلة

وعلى ذلك نرى من الواجب ان تتعلم علماً صحيحاً يمكنها من القيام
بهذه الواجبات وهو الأمر الذي لا تزال مدارسنا مقصرة فيه حتى الآن
فان جملة مدارس الفتيات عندنا لا تتجاوز في تعليمها حد المبادئ البسيطة
وهذه لا تفيد وحدها في تهذيب الفتاة وتعليمها وانما يصح ان تكون
اساساً لما يأتي بعدها من العلوم فاذا لم يأت بعدها علم طمت رمال الأيام
على ذلك الأساس فمحت آثاره وذهبت بالفائدة التي تعود على الفتاة بل
قد يكون منه بعض الضرر بأن يبعث بالفتاة على الغرور والاعتداد
بالنفس واحتقار ذويها

وأول شيء يجب الالتفات اليه في تعليم فتياتنا هو اللغة العربية فانها

ضرورية لفهم ما يطالعنه من كتبها واخبار اهلها وآداب كتّابها على ان لا يقتصر في تعليمها على المبادئ البسيطة كما هي الحال الآن فان ذلك يجعل حافظتهن عبارة عن وعاء مشحون بقواعد لغوية والفاظ ومترادفات لا تجديهن فائدة تذكر في مستقبل حياتهن الا على قدر ما تفيدهن قواعد الصرف والنحو في تربية اطفالهن بل يجب ان يعرفن آداب اللغة ويتعلمن تاريخ المدن وعادات الامم الراقية في المدنية ويتمررن على الانشاء فيطرقن المواضيع ويصورن الافكار بحيث تنمو فيهن قوة الملاحظة وينغرس فيهن الميل الى المطالعة وادراك افكار العلماء وآراءهم فيستفدن منها خبرة ورشاداً ويصبحن بذلك موضع احترام الرجل فلا يعود من ثم ينظر اليهن نظره الى تمثال مزين وجسد لتسلية او طفل لا تتعدى قوة ادراكه حدود التبرج والازياء بل يصبح حديثهن شهياً في المجالس ومجموعة حكم وفوائد في البيوت يرضعها الاطفال مع اللبن ولا يخفى على العاقل مما في ذلك من تعظيم الاولاد لوالداتهم واتباعهم لارادتهن واحكامهن

ثم يجب ان يتعلمن الجغرافيا والحساب والرياضيات والطبيعات والكيمياء والتاريخ الطبيعي بشرط ان لا ينسج في هذه العلوم على منوال يشحن به اذهان الفتيات بحدود ورموز والغاز واسماء عويصة لا تلبث ان تزول من حافظتهن بمزاولة المدرسة ويذهب الوقت والتعب في تحصيلها ضياعاً بل يجب ان تتخذ هذه العلوم كذريعة لتربية العقل وتنوير الذهن ومساعدة الفكر على الانطلاق بين حضبات الطبيعة واستنشاق نسيم

اسرارها ومرافقة أهل العلم على اجنحة البخار والهواء وتحت الارض وفي
عرض الاوقيانوس ونقطة القطب لمعرفة اكتشافاتهم واختراعاتهم العلمية
والصناعية والطبية فيتذذون باستطلاع نتيجة مساعيهم وتوقع فوائدها
ويطربن من مطالعة المقالات الجميلة والفصائد الرنانة ويصرن قدرات
على ادراك علل المحسوسات وكيفية نظامها وتكوينها واندثارها والعلم
باسرار البخار والكهربائية وما يصنع بواسطتهما من الآلات العجيبة
بحيث اذا وقفت سيدة امام آلة التلفون او سمعت بالتلغراف اللاسلكي
تكون على علم بكيفية مقدرتهما على نقل الاصوات واشارات المخاطبة

وينبغي ان يحطن علماء بالقانون الى حد يجعلهم يعرفن قانون
المعاملة والوصية والبيع والشراء لا ان يصرن متشرعات وكذلك ليس
من الضروري ان يتعدى في تعليم المعاني والبيان حد النصوص القليلة
التي تجعل البنات يفهمن ما يقرآن ويدركن وجه الحسن منه ولا بأس
من اضافة علم العروض والقوافي الى ما ذكرنا بحيث يميزن بين الالوزان
ويدركن صحيح المعاني من فاسدها

وأفضل طرق التعليم ما التي بشكل محادثات بسيطة تشترك فيها
التلميذات بالاستفهام والاستنتاج فيكون لهن من وراء ذلك فائدة ولذة
تساعد على رسوخ العلم في أذهانهن وتميط النقاب عن أسرار المشاهد
الطبيعية التي تقع تحت ابصارهن

ويجب ايضاً ان يتعلمن مبادئ علم الصحة وفن الاقتصاد المنزلي
الذين عليهما تتوقف سلامة الأسرة صحياً ومادياً وهذان العلمان لا أثر

لها في مدارسنا مع انهما اكثر ضرورة للبنات من سائر ما يقتبس منه من العلوم لأن عليهن تتوقف راحة الأزواج والمحافظة على ثروتهم وبهن تناط تربية الاولاد ولعنایتهم توكل صحة أجسادهم فجدير بهؤلاء اللواتي سيقضين الحياة زوجات وامهات ان يكون تعليمهن موافقاً لتلك الحياة معيناً لتحمل الالاعاب ومساعداً لتدارك الاخطار والامراض التي يتعرض اليها افراد المجتمع ربما تدهشن لأقوالى ايها السيدات الفاضلات او تستكثرن انواع العلوم التي أشير بصلاحيه تعليمها للفتيات ويخيل لكن اني أقصد بذلك ان تصير بناتنا في مصاف الفلاسفة والعلماء وان يقضين مدة الشباب ضمن جدران المدارس كلاً فما هذا الذي اقصده وانما أقول بوجوب المامن بالعلوم المذكورة الى الحد الذي تحتاج اليه المرأة في معاملته رجلها وتدير منزلها والاعتناء باولادها فما ارتقت امة الا وكان أساس رقيها تعليم النساء . ولا غرو فان عليهن تتوقف سعادة الامة وعلى تعليمهن مدار ارتقاء الافراد اذ تنبث روح آدابهن وتعاليمهن في الشعب فتدفعه في مدارج الارتقاء والنجاح وتسير به الى مراقي الكمال والفلاح واما اذا اهمل تعليمهن فتنعكس الآية ويصبح وجودهن مدعاة للتقهقر والانحطاط ومهداً للخمول والهوان

وحري ان تكون كتبهن مزدانة برسوم مشاهير الرجال وتراجم شهيرات النساء وصور المتاحف والآثار الشهيرة التي تجعلهن يقدرن منزلة أهل العلم ويدركن اهمية الأشياء التي حولهن فيبشنها في صدور اولادهن وبذلك يربين فيهم الذوق الحسن والمقدرة على معرفة قيمة

الأشياء الجميلة الأمر الذي نحن في حاجة كبرى إليه وقليلات منا اللواتي
يؤمنن في تربية الذوق في اولادهن ولذلك نرى الرجل يقف في أعظم
المتاحف وينظر الى أم النقوش المتقنة ويسرح بصره في ألطف المشاهد
الطبيعية دون ان يستوقف فكره او يجتذب اهتمامه شي من منها بل هوذا
دار العاديات على مقربة منا ومع ذلك قليل الذين يعنون بزيارتها في حين
ان الغربي يتتبع الصورة النادرة بألوف من الدنانير ويطوف البلدان ويقطع
البحار ويجوب القفار لمشاهدة المتاحف والآثار والوقوف على سرائر العلم
والتاريخ واذا رأى في طريقه زهرة نابئة على حافة الطريق وقف وأحرق
فيها معجباً بدقة اوراقها ولطف تركيبها ورواء لونها واذا مر بتمثال لأحد
مشاهير أهل العلم والسياسة والفضل وقف متبهيماً وقلبه يضرب احتراماً
واجلالاً

وعلاوة على ما ذكر من أنواع العلوم التي ينبغي تعليمها للفتيات علم
الموسيقى والفنون الجميلة فانهما من أفضل الوسائل التي تمرّن العين والأذن
على تمييز الألحان والأشكال ومعرفة الحسن فيها من الفاسد فضلاً عن انها
تساعد على تفريج الكروب وطرده الآلام والأحزان فجدير بالفتاة ان
تعلمهما فتجد فيهما خير مؤنس في وحدتها وأجل عمل تتلهم به في ساعات
الفراغ بل هي اذا اتقنت تعلمهما كانا لها سياجاً يصونها من ذل الفاقة
ويسهل لها سبل الكسب اذا عضها القدر بناه ولذلك يجدر بالمدارس ان
تعني بتعليم البنات هذين العلمين الجليلين فضلاً عن عنايتها بتعليمهن
الخياطة والتفصيل والتطريز والتصوير والرسم والحفر والتزييل وغير ذلك

من الأعمال التي تساعد السيدة الموصرة على تضييق الوقت بالأشياء النافعة
وتكسب الفقيرة أرباحاً مادية وبذلك تصبح المرأة مخلوقاً مستقلاً ذات
حزم ومعرفة تحفظان منزلها في المجتمع الإنساني وتمكنها من الثبات
لدى هجمات النوائب وتقلبات الحوادث . اهـ

المحاضرة الثامنة

المطلب السابع عشر

﴿ في تربية الفتاة باعتبار تدبير المنزل ﴾

جاء في مؤلف للسيدة بيتون الإنكليزية في تدبير المنزل هذه العبارة
« ان ربة البيت تشبه قائد الجيش فان روحها منبثة في جميع اطراف
المنزل ومنظورة من الخدم فاذا اتمت واجباتها باتقان واحتفظت بالآداب
العالية والسهر والانتباه تكون قدوة لخدمها فيحذون حذوها ويجهدون
في اتمام واجباتهم »

أجل ان سيدة المنزل مكلفة بأعمال وواجبات لا مندوحة لها عن
القيام بها سواء كانت فقيرة أو غنية فعلياً ان نعلم فتياتنا تلك الواجبات
منذ الصغر حتى لا يقصرن فيها في الكبر وعليها ان تعودهن عيشة البساطة
والنظافة وان لا ندعهن يؤجلن الى الغد ما يستطعن أن يفعلنه اليوم
فان كل يوم يأتي فيه عمله فاذا أضفن أعمال اليوم الى أعمال الغد نتج عن
ذلك مضاعمة الأعمال وزيادة التقصير فيها وأحسن واسطة تمكن الفتاة

من الأعمال الكثيرة هي تقسيم الاوقات وتنويع الأشغال وبذلك تجد لكل عمل وقتاً وتتجدد فيها القوة لمتابعة الأعمال بمجرد التنقل فيها من شكل الى آخر

يجب ان نربي بناتنا على حب العمل ونفوس في اذهانهن وجوب القيام بالأشغال المنزلية والصناعات اليدوية

يجب ان ندرجهن على تمرير المرضي وتربية الاطفال ودفع الاسقام عنهم فان من الخطأ ما كانت تمتقده الامهات قديماً من أن التحدث بتربية الاطفال معيب لدى الفتيات كما انه من الخطل ان تعتقد الفتيات ان الطبخ غير لازم الا للفقراء منهن فانه مهما توفرت اسباب الغنى للفتاة وكثرت لديها الخدم فلا بد لها من معرفة فن الطبخ حتى تتمكن من معرفة موضع الخلل في صنع الطعام وتنبيه الطهارة الى اصلاحه والا اضطرت لان تكون اسيرة بذوقها للخدم خاضعة لأميالهم فيما تكره فعلى الامهات ان يوجهن جل عنايتهن الى تدريب بناتهن على الطبخ وسائر الاشغال المنزلية والواجبات البيتية وبذلك يؤهلن لان يكن ربات أسر ومديرات بيوت

اما التي ترفع عن الاعمال انفة منها او كسلاً فانها تكون عالة على زوجها بل حملاً ثقيلاً يضايقه فوق ما يتحمله من مسؤولية الاسرة واعالتها وضمانة مستقبلها اذ يضطر لان ينفق على الخدام والمراضع والمرليات والطهارة والحياطات ما يكفل حفظ نظام المنزل كأنما هو خلق ليقوم بواجبات الرجل والمرأة معاً وفي ذلك ما فيه من الحيف ومخالفة الاحكام

العقلية والطبيعية فضلاً عن ان الخدم مهما كثر عددهم فهم لا يقومون
مقام ربة البيت من حيث النظام والترتيب والاقتصاد

كان لاحد سراة الشرقيين ابنة يحبها ويبالغ في رفايتها ولم يكن
يسمح لها في دخول المطبخ على الاطلاق فكانت نتيجة ذلك انها ذقت
مع زوجها بعدئذ انواع العذاب والتعب لجهلها فن تدير المنزل وعلى
الخصوص صناعة الطبخ فكان زوجها كلما اراد اصلاح خطأ الطاهي
يذهب الى اصدقائه فيستفهم من نسائهم عن افضل الطرق لذلك ثم
يعود وهو يعرض شفاهاً حسرة وألماً مما يجده في نظام البيت من الخلل
وما يتحمله مرغماً من ملاحظة الخدم وضبط حساب النفقات على ان الحال
لم تطل به كثيراً على هذا المنوال لانه بعد سنوات مضت اصيب
بالافلاس فكان ذلك عقاباً لتلك الزوجة وعبرة لسواها من النساء

ولو ان المرأة تستفيد من هذه الرفاية التي يضحي الرجل حياته في
سبيلها ويعرض ماله للضياع من اجلها لكان الامر ولكنها تضر بجسدها
وعقلها فتضعفهما وتسقمهما وتحط من قدرها في اعين افراد اسرتها اذ
تكون بمنزلة صفر عن يسار عددهم

ومما يحسن ان تمرن الفتاة عليه وضع الشيء في محله فان كثيراً من
الآية الثمينة والرياش الجميلة ودواعي الزينة قد تقل قيمتها وتذبو العين عنها
لمجرد وضعها في غير المحل المناسب لها . وأهم ما يجب اتباعه في تدير
المنزل هو الاقتصاد قال احد ادباء الانكليز — ان المال لا يجلب السعادة
للانسان ولكن السعادة لا تأتي بدونه فعليك بالاقتصاد

أجل يا سيداتي ان المال لازم للانسان بل هو أهم ركن من اركان حياته اذ يتمكن بواسطته من نيل أهم رغائبه ولا سيما في عصرنا الحاضر الذي زادت فيه النفقات الى حد لا بد منه في شرع التمدن وما يتبعه من دواعي الزينة والرفاهة والبذخ والاسراف وافضل وسيلة لاحراز المال هي الاقتصاد واسهل واسطة للاقتصاد هي ان يستغني المرء عن اشياء كثيرة شوهد يوماً شيخ حكيم يسير في سوق حافلة بالحلي الثمينة والتحف النادرة وهو ينقل نظره من حانوت الى آخر . فسأله احد اصدقائه عما اذا كان يرغب في شيء منها اجابه باسمًا — انني أنظر لأرى كم يوجد من امتعة واشياء لا أحتاج اليها

ولا غرو ان في عبارة هذا الحكيم لعبرة يتبين لنا منها ان كثيراً من الامور التي نبذل المال في سبيل احرازها يمكننا الاستغناء عنها مثل انواع الزينة والملابس والانفاق على المآدب والرسميات وغير ذلك من الأمور التي لا يضر اجتنابها بل قد يكون منه فوائد اديبة فضلاً عن الفوائد المادية على انه يوجد بين النساء من اذا تولت أمر النفقة تجهد في التقير على اسرتها فتمنع عنهم ما هو لازم لحياتهم وصحة اجسادهم فتضر بهم من حيث تقصد توفير بعض دريهمات قد تضطر لأن تلقيها يوماً للاطباء والصيدالة ومن ذلك يتضح ما على السيدة من دقة الملاحظات ومراعاة الواجب في كيفية الاقتصاد

وقد تظن بعض النساء ان اتباع خطة الرجل بالاسراف من جملة الضروريات او من موجبات الانتقام وقد يعتذرن احياناً بقولهن : لم

لا تنفق على انفسنا ونعيش في سعة ما دام المال ذاهباً من ايدي رجالنا
في كل حال

أجل ان لهنَّ بعض الحق في ذلك ولا سيما اذا كان رجالهنَّ ممن
يتولون أمر الاتفاق ولا يدعون لنسائهم سبيلاً لتدبير المعيشة بما يمكن
معه التوفير . فأفضل ما تداوى به مثل هذه الحال هو ان تقنع المرأة
زوجها بأي الوسائل الممكنة ان يجعل لها راتباً شهرياً وحينئذٍ تتمكن من
تدبير معيشتها بشكل يضمن راحتها ويحفظ لها من فضلات المال درعاً
يقى شر العوز والفاقة

وأفضل وسيلة لا قناعه بذلك هي ان تحافظ المرأة على الدراهم التي
تصل الى يدها وتتدبر في أمر اتفاقها بحكمة بحيث تجعل في زوجها ثقة
بحسن تدبيرها واقتصادها ومن ثم لا ييغل عليها بالمال ولا يتأخر عن
تسليمها راتباً كافياً تنفقه بحكمتها على البيت والاسرة

والاقتصاد واجب مقدس على ربة البيت يدعوها مركزها الطبيعي
للقيام به فأول ما يجب أن توجه اهتمامها اليه هو ان تجعل معيشتها في
درجة معادلة لحالة زوجها المادية فلا تبجد نفسها عبثاً بمجاراة من هنَّ
اوفر منها غنىً واكثر بذخاً لكي لا تضطر بسبب ذلك الى التقدير على
آل منزلها فان الظهور بمظهر موافق لحالتها المادية مع النظافة والآداب
لأفضل كثيراً من التلبس بالجاه الكاذب الذي يعود على صاحبته بالتعب
الكثير والخراب العاجل

على اننا لو تبصرنا قليلاً لرأينا في الاعتدال جمالاً لا يقاس بالجمال

الظاهري مهما بولغ في اتقان الزينة ولبس الحلي والحلل فاذا ما رأت السيدة ابتسامة الارتياح والشكر مرسومة على شفاها زوجها وادركت مالها عنده من المنزلة السامية والثقة التامة تشعر بانها حاصلة على سعادة لا يمكنها أن تنالها من البذخ والزينة مهما اكثرتهما . ومتى ادركت السيدة هذه الحقيقة فقد اجتازت مرحلة كبيرة نحو الاقتصاد المنزلي وسهلت لبنيتها وسائل الصحة والعلم والرفاهية مع حفظ نظام المعيشة وتوطيد الثقة الزوجية وذلك بتضحية قليل من رغائب النفس التي لا فائدة منها

وهناك أمر آخر واجب على السيدة اتمامه وهو ان تعمل بنفسها ما يمكنها ان تستغني به عن مساعدة الغير ولا يكفي ان تشتغل فقط لمجرد التسلية بل يجب ان تفضل من الأشغال ما يخفف من اعباء النفقات فلا تشتغل مثلاً بتطريز مخدة وتستأجر الخياطة لعمل قميص ابنتها ولكن اذا أتمت الأشغال اللازمة لأسرتها فلا بأس من ان تلهو بما يحلو لها من الفنون الجميلة والأعمال الآيلة الى ترتيب المنزل وتزيينه فان هذه من الكماليات التي على حسنها ولزوم وجودها في المنزل ليست الا ثانوية بالنسبة للضروريات

والآن تسمح لي أيتها السيدات ان ادخل واياكن الى المطبخ فنبحث فيما يتعلق به بوجه الاختصار وعلى قدر ما يسمح لي المقام لأن المطبخ على ما يبدو لنا من صغره وحقارة منظره يستغرق من البحث ما لا تكفيه محاضرة او محاضرات بل هو مما يستغرق المجلدات

قال بسمارك : اني لا استحسن السيدة في حال مثلها وهي في المطبخ
ومعلوم ان ذلك الرجل العظيم لم يقصد بقوله انه يرتاح لمشاهدة السيدة
وهي تغسل الطباق والحلل بل ان يراها عاملة على ملاحظة مطبخها
ومعينة كلما يصنع فيه من الطعام وسواء كانت هي التي تشتغل بيديها او
لديها الخدم والحشم فلا بد لها من مراقبة جميع معداته واحصاء نفقاته
والتمييز في المواد التي يبتاعها الطهاة ومعرفة أثمانها ووزنها

كانت احدى السيدات الموسرات تشكو دائماً من كثرة النفقات
في منزلها مع عدم وجود الراحة التامة في نظامه فسمعها يوماً احد
اصدقائها وهو من الرجال الحكماء فوعدها بان يجد لها وسيلة فعالة لمداواة
تلك الحال . وعليه احضر لها علبة صغيرة من خشب الأبنوس لطيفة
الصنع خفيفة الوزن وقال لها احمل هذه في كل صباح وطوفي بها غرف
المنزل وكراره ومطبخه ومتى انتهيت من ذلك عودي الى سابق معيشتك
ففي هذه العلبة سرٌّ لا يباح لك الاطلاع عليه الا بعد مرور عام كامل
من هذا اليوم وهو يضمن لك نظام المنزل واقلال النفقات

ففعلت المرأة ما أشار به هذا الحكيم فاستقامت أمورها وخفضت
نفقاتها الى حد الثلث ولذلك تافت نفسها كثيراً الى معرفة ما تحويه تلك
العلبة فما صدقت ان انقضى العام حتى فتحتها ونظرت فاذا في داخلها
ورقة صغيرة كتبت فيها العبارة الآتية :

(من واجبات ربة البيت أن تهتم بتدبير المنزل بنفسها) هذا كل
ما في العلبة على ان السر الحقيقي لم يكن في العلبة بل في طواف السيدة

في المنزل لانها بذلك كانت تلاحظ تقصير الخدم فتنبههم الى واجباتهم
وترى بعينها كلما يأتي به الطاهي فلا يستطيع بعد ذلك أن يخادعها
بالحساب او يقيد ثمن شيء لم يبتعه في ذلك اليوم

وقد تدهشن يا سيداتي اذا قلت لكن ان كثيراً من الامراض
التي تنتاب العائلات وتضر بأجسامهم تنأت عن بقايا اللحم القليلة التي
تعلق في خشب الكرسي أو اللوحة التي يستعملها الطهارة لتقطيع اللحم ثم
لا يعنون في غسلها جيداً فاذا ما لمست اللحم الجديد أفسدته وجعلته
مضراً بآكله وهكذا الخضار التي توكل بدون طبخ كالخس والفجل
وخلافه فانها كثيراً ما تحمل جراثيم الحمى وغيرها من الامراض فتفتك
بآكلها اذا لم يبلغ بغسلها جيداً

اتفق لي أن قرأت مقالة لأحد الاطباء في اميركا بين فيها ان
أسباب الاصابة بالدودة الوحيدة هي أكل الخضار النيئة في حالة القذارة
وذلك ان دم الخنزير قابل لنمو هذه الدودة وهي قلما يخلو منها هذا الحيوان
ومعلوم انه متى وجدت جراثيمها في الدم لا بد ان تظهر في البراز أيضاً
بحيث انه متى رعت الخنازير مكاناً تركت فيه أثراً من برازها ممزوجاً
بجراثيم الداء فاذا جاء وقت استنبات الخضار ظهر عليها شيء من تلك
الجراثيم تحملها أوراقها النضرة وتنقلها الى المعد

ومع ذلك فكم نرى من النساء من تشاهد ولدها يأكل الخس من
البائع مباشرة بدون غسل فلا تنهأ بل هي اذا قيل لها في ذلك تجيب
(خليه يتعود) ولكن بربكن أين وجه الفضل في تلك العادة حينما تخرج

الأم ولدها بيدها كاس الاسقام مترعة بالمكروببات القتالة وتسوقه بجملها
الى ساحة الموت التي هيها ان ينجو منها ثم تقول (خليه يتعود)
وعلى الجملة فان الفتيات قلما يدركن ماهية العناية الصحية والواجبات
البيتية فيستخفن بها زاعمات انها ليست من الامور التي يجب ان يعبا
بها وانه يكفي ربة البيت ولا سيما المؤسرة ان يكون لديها وصيفة أمينة
توكل اليها ادارة اعمال المنزل وملاحظة الخدم والمطبخ . وفاتها ان كثرة
الخدم في البيت تستدعي زيادة اهتمام السيدة وتيقظها لان الخطر منهم
يصبح أشد وسبل الخيانة والسرقة اوسع

ولا يكفي الفتاة ان تكون عارفة بالاعمال البيتية بل ان الذوق
والمهارة من اول واجباتها وهذا ما يمكنها اكتسابه بالاختبار والمطالعة
ومعاشرة فضليات النساء

هذا ولو أردت أن ألم باطراف هذا الموضوع واتناول بجثي كل
دقيق من اجزائه وفروعه لضاق بي المقام ولكني أنتقل منه الآن الى
الواجبات الزوجية وهي المرحلة المهمة من حياة المرأة

المطلب الثامن عشر

ترشيح الفتاة للزواج

لا بد لي قبل الشروع في هذا الموضوع من ان ابين الفائدة التي
تجني عن اعداد الوالدين بناتهم للزواج منذ الصغر . فان تكييف العقل
وهو بعد ضعيف مرن لأسهل جداً منه بعد ان ينمو ويقوى واغتذاء

الفتاة بمحاسن صفات والديها وصدق ارشاداتهم لاحكم وقعاً في نفسها
وأشد رسوخاً من اقتباسها الحسنات بنفسها عند الكبر خصوصاً وان
التعلم بالاختبار لا يكون الا متأخراً اي بعد وقوع الحوادث التي تؤلم
عواطفها وتجعل لها من أثرها امثلة بعد امثلة تتصفحها بعينين مغرورتين
بدموع الأسف التي قلما تفيدها بعد ذلك لأن منزلتها تكون قد انحطت
لدى عائلتها وقلب زوجها قد ابتعد عنها فيصعب عليها ان تسترده

ولذلك أقول بوجوب اهتمام الوالدة بنصيحة ابنتها وارشادها الى
معرفة الواجبات الزوجية وهي بعد فتاة بحيث يكون لها من سعة العلم
باخلاق الرجال والامام بأسرار الوجود ما تتمكن به من اتقاء كوارث
الحياة بحسن سياستها وقوة صبرها وحكمتها

ولكي تصل الى هذه الغاية يجب قبل كل شيء ان تفهم حقيقة رجلها
كما هو ليس كما تصوره لها اميالها ورغائبها فتعلم بانها ككل مخلوق بشري
فيه معائب وفضائل وأميل واخلاق مختلفة قد تكون مستحسنة لديها او
مكروهة في عينها فني كل حال يجب ان تدرسها وتنحيتها ما امكن ثم
تضيف اليها من مادة آدابها ما يمكن معه تشييد دعائم مستقبلها وحفظ
كيان راحتها . ومن العبث وضياع العمر ان تحاول تغيير اخلاقه أو محو
ما انطبع في ذهنه من صور الصفات الغريزية بالقوة والشكاسة فان ذلك
فضلاً عن انه لا يأتي بفائدة فهو قد يعود عليها بالاذى والفشل عودة
الفصن الصلب بعد مجاوله ليه وليس ذلك لان الرجل شديد الصلابة
والصلابة بل ان تظال اليد لآدابه قد يمس كبريائه ويزيد ببعده عن

محجة الهدى . فاذا رأت الزوجة فيه عيباً ورامت اصلاحه فليكن بالتوسل تارة والاغضاء طوراً مع التودد والملاطفة والانعطاف والتسليم حيث لا ينفع الجدل فان سلاح المرأة لطفها وصبرها أما المكر والحيلة فهما بضاعة الخاسر

سألت فتاة يوماً عقيقة المستر غلادستون وهي مثال الزوجات الفاضلات كيف تنهيا لي السعادة في الاقتران فاجابتها ادرسي اخلاق زوجك وواقفيه عليها فان المرأة أسهل مطاوعة وألين عريكة من الرجل . فعليها ان تكون البادئة في التوفيق بين طباعها وطباعه وان تبذل في ذلك قصارى جهدها

ولقد جرى أكثر الناس ولا سيما الشرقيون في تهذيب بناتهم على قواعد سطحية لا تتجاوز بتأثيرها صقل الظواهر الخارجية فتبدو لعين الرجل جميلة زاهية تنبئ بصفاء جوهر النفس وحسن استعدادها ولكن ذلك لا يثبت تحت محك الامتحان فأحرر بالفتاة ان لا تتخذ الجمال اسليماً لبناء مستقبلها ولا تكتفي باللباقة واللفظ رأس مال لنجاحها وسعادتها ولا تجعل العناء والتسلط وسيلة لنيل أمانيتها وتحقيق رغائبها بل تعتبر ان الزواج عبارة عن ضحية تقدم له نفسها بجملة ما فتى كانت غير مستعدة او غير قادرة على تضحية نفسها ووقتها وقلبها على هذا المذبح المقدس فخير لها ان تبقى عذراء فتنتقذ بذلك رجالاً من العذاب واولاداً يشاطرونها الشقاء والأتعاب

ويجب تعليم الفتاة ان أهم واجبات الزوجة الفاضلة هي المحافظة

على أسرار زوجها فان شغشقة اللسان من أعمال الطيش وتيجتها سقوط
منزلة المرأة والاضرار بزوجها وكذلك اذا وجدت فيه عيباً فلا يحذر بها
ان تبينه لصديقاتها حتى يعلم القاصي والداني بدخائل أمره خصوصاً وانه
لا فائدة لها من وراء الاضرار به على هذه الصورة الممقوتة الا اذا كانت
تقصد ان تظهر للملأ ما هي عليه من التعس والشقاء معه وفاتها انه اذا
كانت التي تشكو اليها عدوة لها سرت لشقاتها وتمنت لها المزيد منه واذا
كانت صديقتها حزنت لحالتها لانها عاجزة عن تفريج كربتها وفي كلا
الحالين لا تفيدها الشكوى سوى الفضيحة لأن الكلمة التي ينطق بها
صاحبها تملكه وأما التي يحفظها فيملكها

ولا بد من الفكاهة بالحديث فان الابتسام زينة الكلام وهو لازم
للحياة لزوم الملح للطعام ولكن مع الحذر والتروي وكذلك البشاشة
فانها من أعظم البواعث على دوام الحب والهناء بين الزوجين
وأفضل صفات في المرأة الاقتصاد فانه مدعاة الراحة والثقة بين
الزوجين وهي كلما زادت بالحرص والتوفير زادها من البذل والسخاء
اعتقاداً منه ان أمواله لا تذهب من يدها عبثاً وان ما تذخره من المال
يحفظ له ولأولاده وبمعكس ذلك متى رآها مائلة الى البذخ والزينة
فانه لا يلبث ان يقتر عليها ويشكو دهره ابدأ لديها فلتجتهد في ان
تكتسب ثقته بتوفيرها ورصاتها وتجتذب رضاه وارتياحه بتدبيرها
وحسن نظام معيشتها فان الدقة والسلام مع المعيشة البسيطة أجل جداً
من جميع زخارف العالم يتبعها التعب والخصام . اهـ



المحاضرة التاسعة

المطلب التاسع عشر

﴿ في المطالعة ﴾

تقدم لي القول ان العلم في المدارس مهما كان راقياً ومهما توفرت أسباب تحصيله لأولادنا فهو ليس إلا عبارة عن أساس لما يأتي بعده من العلوم الواسعة التي يتعلمها الانسان بنفسه في مدرسة المستقبل مدرسة العالم والاختبار فاذا كان هذا شأن العلم في المدارس الراقية فكيف به في مدارسنا ولا سيما مدارس بناتنا وهي على ما نعلمه جميعنا من الاقتصار على التعاليم الابتدائية البسيطة . ان الطالبات فيها ولا ريب احوج الى وسائل فعالة لتنوير عقولهن وتوسيع دائرة اختبارهن وتأهيلهن للواجبات العظيمة التي ستلقى اليهن . وأفضل تلك الوسائل المطالعة وادخار المعارف التي تجعل لهن رأس مال من العلم والأدب يأمن معه شرب الحياة ونوائبها فانه ليس أفضل من المطالعة واسطة لاتمام الفائدة التي يتوخاها الانسان في المدرسة ولا سيما ذات الخدر التي ما من سبيل غير هذا لتقدمها واتساع مداركها بعكس الرجل الذي قد يجد في معاشرته الناس ومعاملتهم ما يكسبه حنكة واختباراً عظيمين يغنيانه احياناً عن مطالعة الكتب

وكفى بالمطالعة فائدة للفتاة اشتغالها بها عن امور كثيرة قد تأتي بها بعض السيدات عمداً او اتفاقاً بقصد التسلية وتمضية الوقت وربما كان منها أعظم ضرر لهن وللآخرين كنقل الأخبار التافهة والتنديد بالغير هذا فضلاً عما يستحوذ على السيدة من الضجر والملل من الحياة التي أكثرها بطالة وكسل مما يجعلها تعتمد الى تسلية نفسها بالزيارات والانصراف الى الزينة والاهتمام بالأزياء الجديدة والتدخين الى غير ذلك من الأمور التي تعود عليها بالأضرار المادية والأدبية والصحية

فالمطالعة تشغلها عن مثل هذه الأمور فضلاً عما تجده فيها من اللذة والتفكهة فوق ما تقتبسه من العلوم والارشادات وما تستزيده من المعارف بمتابعة الاخبار والاكتشافات العلمية والاختراعات الفنية دون أن يكلفها ذلك كبير عناء فان ما تتصفحه مثلاً من المقالات العلمية أو الادبية أو التاريخية في دقائق قليلة وما يمكن أن تذخره من لقطات الاخبار وزبدة المعاني بمجرد القاء النظر على اسطرها الوجيزة قد يبذل كاتبها العاعات والأيام شاحداً قريحته باذلاً همته منقباً في المؤلفات باحثاً في تواريخ الامم ليستخلص من افكار العلماء واقوال الفلاسفة البلغاء ما يبنى عليه تلك المقالة التي قد تصلنا مسبوكة في قالب البلاغة والاختصار حاوية كلما شاق وراقت مطالعته من الحكم والاخبار كزهرة استمدت من الارض غذاءها واكتسبت من جمال الطبيعة نضارة ألوانها وحسن تركيبها فظهرت لنا بأبهى رونق وألطف منظر لا يعوزنا سوى مد يدنا لاقتطافها

ومتى عم العلم والمطالعة افراد السيدات واشتغلن بهما عما لا ينتج

لهنّ منه فائدة أصبح ذلك الميل فيهنّ طبيعياً فانصرفن الى تداول
الاحاديث الجليلة النفع وكتابة الفصول المطولة في ذلك وانشاء الجمعيات
العلمية والادبية والخيرية التي قد يكون منها أعظم فائدة لهنّ وأفضل
واسطة لتقدمهنّ وقد تتمكن السيدة من المطالعة بمجرد معرفتها القراءة
والكتابة فترتقي بواسطتهما في المعارف الى حد الوقوف مع اهل العلم .
ذكر أحد الخطباء الانكليز في حفلة لا اذكر تاريخها ومكانها قال ان
اكثر نساينا اللواتي اشتهرن في حسن الانشاء وذاعت شهرتهنّ في عالم
الادب والعلم لسنّ ممن حزن النصيب الكافي من التعاليم المدرسية بل
هنّ أحرزن هذا المقام العلمي الرفيع بانصباهنّ على مطالعة الكتب
المفيدة وتصفح الاخبار العلمية والمجلات الادبية

وهكذا نرى ان المطالعة شأنًا عظيمًا في ترقية العقل وتوسيع المدارك
انما يجب الحذر من الكتب المفسدة للآداب والمشوهة للاخلاق فانها قد
تؤثر في النفس تأثيراً سيئاً

وعندي أن لا تطالع الفتاة كتاباً او جريدة الا بعد ان يطالعها
أبواها ويتأكدوا من فائدتها لها اما الروايات فالأفضل ان تمتنع البنات
عن مطالعتها قبل بلوغ السن التي ترسخ فيها آدابهنّ على شكل لا يخشى
معه تقلقلها فانه مهما كانت الرواية حسنة المعنى جزيلة الالفاظ أدبية
المغزى فانها لا تخلو من حوادث غرامية وحيل فنية تنبه افكار الفتاة
وعواطفها الى أمور لا تزال تجهلها وقد لا يفيدنها ان تطالع عليها وتلم
بأسرارها في زمن الحداثة والصبوة

وما يقال في اختيار الكتب المفيدة للمطالعة يقال أيضاً في اختيار
الأصدقاء الملائمين للمعاشرة لأن الكتاب والصديق واحد من حيث
أنتناس المرء بهما والتأثر من معانيهما
ولذلك استأذن حضرات السيدات البحث في آداب المعاشرة

﴿المطلب العشرون﴾

﴿في آداب المعاشرة﴾

للمعاشرة آداب ينبغي أن يحافظ عليها المرء في جميع معاملاته سواء
في بيته أو بين أصدقائه ومعارفه مع رؤسائه أو خدمه وكل من يتعامل
معهم كباراً وصغاراً نساءً ورجالاً فإنه مهما ارتفعت مظاهر الكفاة واشتدت
رابطة الوداد بين صديقين أو أخوين أو زوجين فلا بد لكل منهم من
مراعاة شعائر الآخر وإتمام ما عليه من الواجبات نحوه وعلى ذلك نجد
الفريسيين يعلمون أولادهم آداب السلوك منذ الصغر بحيث يشبون وهم
على علم تام بماهيية واجباتهم نحو القريب والغريب فلا يشذون عن
مصطلحاتهم الاجتماعية ولا تفوتهم معرفة واجباتهم البيئية

أما نحن فقل من يكثر منا لتعليم أولاده هذه الواجبات بل ترك
ذلك إلى الطبيعة ثقة بأن ما يفوتهم تعلمه منا يعلمهم آياه الاختبار ولذلك
نرى فتياتنا يرتكن في أصغر الاجتماعات ويتلجلجن في أبسط الأحاديث
لأنهن لسن على علم من الخطأ التي يجب أن يتبعنها في أحاديثهن

ومقابلاتهن داخل المنازل وخارجها على المائدة وفي الطرق والمنتزهات والأسواق

فاننا اذا راقبنا فتاتين اوربية وشرقية في وقت الزيارات لرأينا الأولى تستقبل ضيوفها بلطف وابتسام وتجالسهم وتحدث كلاً منهم بما يقتضيه المقام دون أن يبدو عليها اضطراب او ارتباك بل كأنما هي تقوم بعمل عادي تعاملته وألفتته حتى أصبح من الأمور السهلة لديها في حين أن الأخرى لا تكاد تقع عينها على زائريها حتى تضطرب ويعلو وجهها احمرار الحياء والخجل فتقدم للسلام عليهن وهي تتعثر بأذيالها وتكاد لا تملك نفسها من شدة الارتباك مما يستولي عليها من الحيرة والتردد في اتخاذ المكان المناسب لجلوسها والأحاديث التي يحسن البحث فيها وكثيراً ما يبدو منها تقصير يدعو للانتقاد عليها وهذا التقصير يظهر ايضاً في اطفالنا وخدمنا وكل من تضمه منازلنا. ولا يصلح ذلك الا اذا اعتنت الأم بتعليم صغارها آداب السلوك ودربت خدماً على معرفة الواجبات التي يلزم ان يتبعوها ويحافظوا عليها فتستقيم احوال الأسرة ويظلمهم علم الراحة والسرور واول ما يجب على الأم ان تعلم اولادها وجوب احترام بعضهم بعضاً فلا تسمح لأحدهم ان يشتم الآخر او يدعو عليه او ينقل عنه خبراً كاذباً او يتهمه بأمر هو بري منه لمجرد تكديره او التشفي منه وبذلك تعلمهم وجوب احترام انفسهم واجلال الآخرين وينبغي ايضاً ان تفرض على كل منهم ان يخدم الآخر ويساعده فيما يحتاج منه وان يدعن له ولا يستأثر بشيء دونه ثم تعلمهم كيف يجب ان يسلكوا في حضرة الزائرين وكيف

يعاملون الخدم وما هي الآداب التي يجب ان يتبعوها على المائدة وفي
الاجتماعات وما هي الملابس التي تليق ان يرتدوا بها الى غير ذلك مما
لا يخفى على فطنتك فان

صغير السن في التأديب يرجى ولا يرجى لتأديب كبير
وأهم ما يطلب من الأم هو تعليم فئاتها آداب المعاملات الزوجية
ويجب ان تفهم الفتاة ان اول شرط لازم في هناء المعيشة الزوجية
هو الحب المتبادل بين الزوجين تلك العاطفة السامية التي تشرك قلوبهما
فيتهجان بتقاسمهما الافراح ويقويان على احتمال الأحزان ولا يكون
الحب بالتدليل وترديد عبارات الوداد ولا بالتزين واظهار الانعطاف بل
يكون بانكار الذات وايثار كل من الزوجين الآخر على نفسه والاهتمام
به في السر واليسر



المحاضرة العاشرة

﴿ الخاتمة ﴾

إذا نظرنا في احوال الناس عموماً نجد عوامل عديدة تؤثر فيهم ولذلك هم يختلفون كثيراً بين صقع وصقع ومن جيل الى جيل . فالأقليم ومواقع البلدان واختلاف الفصول ودرجة الحرارة وسهولة الارض ووعورتها وخصبها وجذبها وجبالها ووهادها كل ذلك يؤثر في البشر فيجعل فيهم اختلافات في الامزجة والاخلاق والتكوين نفسه بين قبج وجمال وشدة ورخاء وضعف وحزم وخشونة ولين وشجاعة وجبن وذكاء وبلادة وترو وحق واعتدال وتطرف وينطبع أثر ذلك في معاملاتهم وسياساتهم وهذا من جملة اسباب عدم تساوي البشر في صفاتهم ونظاماتهم واستعدادهم وسائر ما يتعلق بهم

على ان الانسان قادر بما فيه من قوة الكسب بالاختبار وما له من وسائل الاستنباط على مقاومة هذه العوامل الطبيعية وتعديلها وتكييفها وصرفها الى منفعة او ضرره بحسب ميله واستعداده . يدلنا على ذلك الاختلاف البين في أهل البلد الواحد بين عصر وعصر . فان الشعوب الاوربية والاميركية قد ارتقت في العصور الاخيرة ارتقاء عظيماً مع وجود بلادها دائماً في منطقة واحدة وأقليم واحد وتأثرها بمؤثرات طبيعية واحدة وكذلك الشعوب العربية قد تأخرت عن العصور الماضية

مع استمرار أحوالها الطبيعية وتساوي أقاليمها الاستوائية . فلا بدّ اذاً من عوامل أخرى غير العوامل الطبيعية تؤثر في احوال الانسان هذا التأثير العجيب

وهذه العوامل الاخرى هي ما يسمونه بالعوامل الادبية . وهي تنحصر في أمرين اساسيين هما التعليم والتربية ويشترط في ذلك التعليم الذي يتولى قيادة العقل وصياغة احكامه والتربية التي تتولى قيادة الاخلاق وطبعها على الخطة التي ترسمها لها

وبديهي ان هذه القيادة في التعليم والتربية لا تكون حسنة الا اذا كانت نافعة ومفيدة للغاية التي وضعت لأجلها ولكي تكون كذلك يجب ان يكون مرماها تعرف الطبيعة كما هي حقيقة لا كما يصورها لنا الوهم او الاماني والأوقع الضلّ وكان العلم شرّاً من الجهل

ولقد بحثت في محاضراتي الماضية في اصول التربية العقلية والجسدية بحثاً مفصلاً وأبنت الخطة التي يجب أن يسلكها المربون والمعلمون في تقوية اجساد الاولاد وتهذيب اخلاقهم وتشقيف عقولهم والآن أستأذنكنّ بالبحث في أحوالنا الخاصة وماهية التربية والتعليم التي نحن سائرون عليها ونتائج تأثيرها في ابنائنا وبناتنا بحيث يتبين لنا الضار منها فنجنبه والصالح فنتمسك بهدابه ونجري على قواعده

ان التربية كانت ولا تزال متأخرة في الشرق تأخراً عظيماً ليس بالنسبة الى الامم الراقية اليوم فقط بل بالنسبة الى ماضينا وما كان عليه اسلافنا من العقول الثاقبة والمبادئ القويمة والطباع الراقية والذكاء الباهر

والبيان الساحر وما كانت عليه نساؤهم من الحصافة في الرأي والبسالة في
المعارك والبلاغة في النظم والنثر والتشبت بعري الآداب والفضيلة والشرف
بحيث اننا اذا قابلنا بين احوالهم واحوالنا وآدابهم وآدابنا يبدو لنا فرق
عظيم ربما يدفعنا او يدفع بعضنا الى الاعتقاد باننا لسنا من طينة تلك
السلالة الممتازة بطيب محتدها المتفردة بمحاسن اخلاقها . بل انما نحن
أحط منهم جبلة وأخلاقاً وأضعف منهم عقلاً وادراكاً ولذلك عجزنا عن
مباراتهم

كلّا يا سيداتي اننا لسنا أضعف من أسلافنا عقلاً ونساءنا ليست
أقل من نساؤهم حصافة وذكاءً ولكن هي الحوادث قضت بان يكون
عصرهم ربيعاً زاهراً بورود الرقي الطبيعي فكانت الصفات الطيبة والآداب
العالية فطرية فيهم يتوارثونها خلفاً عن سلف وقد زادها رسوخاً فيهم تقاء
سريرتهم وبعدهم عما ينطبع في النفس من سوء الملكات التي يدعو اليها
تنازع البقاء في الحياة الحضرية

اما نحن فقد وجدنا في عصر اشبه بفصل خريف مظلم الجو متناثر
الاوراق لا أثر في تربته لبذور العلم ولا مساعد في طبيعة جوده لاستثمار
التربة ولا بدع فان للحياة العمرانية أدواراً تتقلب فيها تقلب الفرد في
أطوار حياته الطبيعية وتمر بها فصول تختلف بين قبط يذهب برؤاء
مدنيتها وجليد يوقف حركة اعضائها وريبع يخلع على رياضها حلل البهاء
والارتقاء وخريف يلبسها ثوب القحط والفناء . ولما كان من نصيبنا اننا
وجدنا اليوم في دور مظلم كان علينا ان نقوم بنشر أنوار العلم والمدنية لكي

يتيسر لنسائنا ان يضعن الاساس اللازم لبناء العمران على شكل يضمن سلامة الوطن ويرفع شأن الامة وهذا ولا شك عمل كثير الوعورة عظيم الاهمية لا نلام نحن الشرقيين اذا وقفنا لديه زمناً جزعين مستسلمين لليأس بل لا يؤخذ ذلك دليلاً على انحطاطنا وعدم مقدرتنا على التشبه يوماً بأسلافنا والافتداء بالأمم الراقية من جيراننا فان ما نراه من نجاح ناشئتنا بالعلوم وتبريز افرادها على أقرانهم من الغربيين في المدارس الأوروبية والأميركية يؤيد لنا وفرة ذكاء الشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً ومقدرتهم على مسابقة الاوربيين في حلبة النجاح متى تمهدت لهم السبل لذلك

أجل يا سيداتي ان لدينا من الاستعداد العقلي ما يؤهلنا لبلوغ أقصى درجات الفلاح وانما ينقصنا العلم . العلم الصحيح . العلم النافع العلم الذي يشقف العقل وينيره ويعظم شأن صاحبه وينقصنا بسبب ذلك كله خصوصاً الاختبار

فاذا تقرر لدينا ذلك يلزمنا ان نبحث في ماهية التعليم النافع والثرية اللازمة لنا متخذات أفضل احوال الشعوب الراقية نموذجاً ننسج على منواله ونجتهد بتجاوزه الى ما هو أفضل ايضاً ولا سيما واننا من سلالة قوم شهد لهم التاريخ بالاستعداد الفطري الحسن لقبول الرقي في العمران . وسواء انتسبنا الى المصريين الاصليين او الى العرب فالمصريون القدماء بلغوا من التمدن شأواً سبقوا فيه سائر الأمم والعرب بلغوا في الحضارة مبلغاً فازوا به على سائر معاصريهم . واذا رجعنا الى شهادة علماء الاثروبولوجيا

وهو العلم الذي يبحث في تكوين الانسان الطبيعي وجدناها متفقة مع شهادة التاريخ لهم قال البارون لاتري في وصف الاعراب

« انهم يسمون على سائر الاجيال بالنظر الى هيئة القحف وسعة الدماغ وكثرة تلافيفه وبناء الاعصاب وشكل الالياف العضلية والنسيج العظمي وقوام القلب ونظام نبضاته فضلاً عما هم عليه من ملاحظة السحنات وتناسب الاعضاء فهم قد جمعوا بين العقل الصحيح والجسم الصحيح ولذلك بلغوا من الحضارة والمدنية ونخامة الملك وبسطة العمران مبلغاً عظيماً فان قلنا ان سبب هذا النجاح في الماضي هو تأثير طبيعة البلاد في التكوين والاخلاق فهذه الطبيعة لم تتغير اليوم عما كانت عليه في ذلك الزمن فلماذا اذن تغيرنا نحن ؟ ... »

ان هذا يؤيد ما قلته سابقاً بأن العوامل الادبية متممة للعوامل الطبيعية وكثيراً ما تغلب عليها . وما تأخرنا اليوم الا من نقص هذه العوامل الادبية فينا

ولا مشاحة في ان علمنا اليوم ناقص جداً وتربيتنا سقيمة فمدارسنا الابتدائية لا تزال لسوء الحظ وسيلة لزيادة صدى الازهان اكثر منها لازالة أدران الجهل ومدارسنا العالية وان كان عليها مسحة من النظمات التي اقتبسناها عن سواها من مدارس الامم الراقية الا انها ليست من أرقاها لان هذه النظمات في البلاد الراقية نفسها متفاوتة وأرقاها لا يسلم من الاعتراض والعلم فيها اكثره نظري ونحن في حياتنا محتاجون اليوم الى علم عملي حسي صادق الاختبار في مقدماته وما يبنى عليها من النتائج

قريب المأخذ مؤكداً الفائدة لا يضيع فيه وقت التلميذ جزافاً ولا يتيه عقله فيه ضلالاً يجب ان تكون المدارس عبارة عن حقول وجبال ووهاد ومعارض ومصانع مصغرة يلمس التلميذ بيديه ويرى بعينه ما يقرأه في كتابه المختصر المفيد وهي امنية مدارس المستقبل . اما تربيتنا البيتية والاجتماعية فمجموع سخافات وخرافات لا طائل تحتها فهي تربي العواطف الى درجة التأثير الشديد وفقدان الصبر والاحتمال وتمعد العقل لقبول أنواع الضلال وكذلك ترفه الاجسام الى حد الترهل وضعف القوى

هذه هي خطة التربية والتعليم التي يسير عليها والدون في البيوت والمعلمون في المدارس وهي التي يجب ان تصلح اولاً بتقوية الاجسام وذلك بالرياضة وتعريضها للهواء والشمس وتعويدها الاعمال الشاقة البدنية ثانياً باصلاح منهج التربية في البيت والتعليم في المدارس وتلقين الطفل وهو بعد في البيت قبل دخوله المدرسة مبادئ العلوم الطبيعية شفاهاً وبطريقة حسية سهلة المأخذ كما بينت ذلك في باب التربية البيتية .

أما التعليم في المدارس فاننا اذا نظرنا اليه نظرة خالية من الغرض والمداجاة والتشيع لا بد لنا من الاعتراف بأنه ناقص جداً بل فاسد ايضاً أقول ذلك متذرة به الى استلفات الانظار عموماً للاصغاء الى ما سأبديه من الملاحظات العمومية المتعلقة بموضوع التعليم سواء في مدارسنا الابتدائية او العالية ملتزمة منكن ومن جمهور المطلعين على كلامي هذا استيعابه بمنتهى التسامح اللازم لطلاب الحقائق الذين لا يسمحون لأغراضهم مهما كانت ان تطمسها

قلت ان التعليم في مدارسنا ناقص جداً وفاسد ايضاً يضل فيه العقل ضلالاً ويضيع فيه وقت الانسان سدى بما ينفقه فيه من الزمن الطويل جزافاً على غير جدوى وقد تسو، معه احكامه لقيامها على اسس أقرب الى النظر والخيال منها الى الواقع والاختبار

لنأخذ اي برنامج من برامج المدارس عموماً ونفحصه بالنظر الصائب والعين النافذة فنجد ان أساس أكثره النظر لا العمل واجهاد الأحكام المبنية على النظر العقلي أكثر من الأحكام المبنية على الاختبار العملي .
يجلس التلميذ في مدرسته وبأخذ يقرأ ويدرس ويحفظ عن ظهر قلبه أدبيات ومبادئ، واموراً لا يرى لديه أثراً حسيّاً يؤيدها فتنطبع فيه انطباع الاصوات الفونوغرافية والصور الفوتوغرافية ولا يكون شأنه بها ثمّة إلا شأن البغاء لا يلبث ان ينساها عاجلاً ام آجلاً وتزول صورها من ذهنه بالكلية

هذا فضلاً عن مخالفتها احياناً كثيرة للواقع مما يجعل احكام العقل على التماذي متناقضة غريبة جداً مع قضاء هذه الغرابة وذلك التناقض على صاحب الفكر نفسه

واننا اذا نظرنا الى أهل العلم في بلادنا نجد أكثر الذين نبغوا منهم وحازوا مكانة عالية من الآداب هم من أهل التحصيل وأرباب الاجتهاد الذين لم يتعلموا في المدارس مطلقاً او تعلموا فيها شيئاً قليلاً لم يقو على تقييد أفكارهم الحرة وغل نفوسهم المطلقة بل درسوا العلم على أنفسهم واختاروا منه ما تقبله عقولهم فاستفادوا منه حقائق رسخت في أذهانهم وانطبعت

على لوح حافظتهم فبلغت بهم منزلة عالية من العلم والاحاطة باصوله وفروعه
هذا فيما يختص بمدارس الاولاد فما قولنا بمدارس البنات وهي كما
نعلم عبارة عن كتابات بسيطة لا تأتي الفتاة بالفائدة المطلوبة ولا تجعلها
نافعة في عائلتها ولذلك فاننا ننتظر بذهاب الصبر ان تأخذ الحمية فضليات
نسائنا فيباشرن سد هذه الثلمة بايجاد مدارس للبنات تعلمهن العلوم
اللازمة لترقية عقولهن واتخاذ ما يلزم من الوسائل لتنمية قواهن الجسمية
وملكتهن العقلية فيعرفن ما في الكون من الموجودات ويتشوقن الى
استطلاع عجائبه والوقوف على أسرار

والمقصود من تعليم المرأة ليس ان تكون أستاذة او متشعبة او
فيلسوفة ولكن لتعرف كيف تبث الافكار العالية في اولادها وتذهب
بهم الى ما تريده لهم من النجاح والفلاح

ومما يلزم البنات والصبيان على السواء الاشتغال بأدب اللغة العربية
والتوفر على اتقان علومها واحكام الجري على اسلوبها علماً بما لها من
المزية التي انفردت بها عن سائر اللغات فضلاً عن ان اتقان اللغة الوطنية
عند كل أمة مقدم على جميع العلوم اذ هي القالب الذي تسبك فيه المعاني
والمرأة التي تمثل فيها صور الخواطر فتى كان ذلك القالب أجمل تكويناً
وتلك المرأة أصفى ماء جاءت المعاني أبدع احكاماً والخواطر أنصع بياناً

وان ما نراه من تنبيه الافكار الى نشر المدارس واصلاح نسق
التعليم فيها يبشرنا بفجر نهضة جديدة سوف تكسب البلاد حلل الارتقاء
في ظل عزيز قطرنا مولانا الخديوي العظيم الشأن

تربية الذوق

خطاب ألقيناه في حفلة جمعية غرف القراءة في بجمدون « لبنان » في آخر
شهر أكتوبر فأثرت اضافته الى هذا الكتاب
لما ان موضوعه في التربية

طلب اليّ ان احدثكم الليلة بما يتنزل منزلة الخطابة فاجبت الطلاب
على اعترافي بقصر الباع وقلة البضاعة وقدمت الى بجمدون هذه القرية
الجميلة مساء امس والثقة تملأ فؤادي بأني سأجد لضعفي شفيعاً لديكم ومن
كان شفيعه امثال حضراتكم فلا يخشى الانتقاد

جئت امس الى بجمدون وما استقرّ مقامي فيها حتى شعرت بلطف
هوائها وطيب مناخها خفق فؤادي شكراً لرجال هذه الجمعية الأفاضل
الذين كانوا السبب في تمتعي بذلك السرور ووقفت حيناً امتع طرفي بجبال
الطبيعة وبهائنها فأبصرت مشهداً لا يمكن أن تقع العيون على أجمل منه
رأيت غيوماً تلبد بعضها فوق بعض كأنها جبال تمتدّ من جهة المغرب
حتى جبل صنين وهي بين لطف وكثافة تمثل فيها رسوم واضحة كأنها
أشجار تتعانق اغصانها في غفلة من عيون البحر المراقبة او غادة يبدو
وشاحها الأبيض من خلال حلقات شعرها الحالك السواد ومن ورائها
ذكاء تختال بحلّتها الارجوانية كشمعة نار ترسل من لحاظها سهاماً تحترق
تلك الجبال البخارية وتطبع على وجناتها قبلاً حارة فتغيرها من الورد
احمراراً ومن البنفسج استحياء واتضاعاً

كل ذلك والنسيم يهب عليها مداعباً فيعبت بطيات ثوبها الرمادي
ويكشف الستر عن هامتها فيبدو رأسها متوجاً بأشعة ذهبية يخطف
بهاؤها الأبصار ويحير جمالها الافكار وكأن في يديها صولجاناً من نور
او سيفاً من نار تحركه بإشارة من مليكة الطبيعة فيترك بروره خطوطاً
ساطعة ترتسم بأشكال هندسية ثم تضمحل وتلاشى طي تموجات النور
فلبثت أعينها وهي تسير ببطء نحو الشرق ومن تحتها الجبال مشرقة
الوجه باسمه الثغر وقد ساد السكون على البسيطة فلم أرَ غصناً يميل او
نباتاً يتحرك بل لم يكن هناك عصفور يغرد او ماء ينساب كأنما كل ما
في الطبيعة شاعر بجمال المشهد وجلاله فقطع أنفاسه وجمد في مكانه
هيبه وخشوعاً

على اني رأيت افراداً وجماعات من الناس كباراً وصغاراً صبياناً وبنات
يسيرون في الطرق والحقول وهم بين محدث ومصغٍ عابس وضاحك
مسرع ومتهمل . وكل منهم منصرف بأفكاره الى وجهة جعلها قبلته
ولكن اسمحوا لي أن أقول لكم : انه لم يكن بينهم من اكثر
جمال الطبيعة او أرسل نظرة اهتمام لما هو جارٍ فوقه من بدائع المشهودات
اجل لم أرَ أمماً تستلفت افكار ولدها الى اعمال امه الطبيعة ولا رأيت والدأ
يظهر لابنته عظمة الكون وغرابة نظامه بل لم أرَ عادة حدقت في العلاء
او شاباً أخذ بجمال تلك المشاهد الغراء كما اني لم ابصر صغيراً يشير بيناته
الترفة الى تلك الرسوم المنقوشة بأبهى الالوان ولا شيخاً يرسل رائد
الفكر في مجاهل الفضاء مسبحاً باري الاكوان

أجل ايها السادة لم يكن فيمن رأيتم من مال بوجهه نحو تلك
المشاهد التي خطتها يد الطبيعة بأبداع الاشكال فجعلت من تلك الغيوم
المتراكمة شبه أنهار تجري من تحت قناطر سنجابية تعلوها هضاب وآكام
ويحيط بها صخور وحصى ورمال ومن ورائها زرقة السحاب تجسم الرسوم بما
فيها من خلايا وسدود وتتواتر بحيث تبدو للنظر على أتم وضوح وأبداع مثال
وكأنني بالشمس حزنت لما صادفتها بين أبنائها من قلة الاحتفاء
بشأنها وعدم الاكتراث لأمرها فاكفهر محياها أسفاً وبردت أطرافها
تأثراً وانفعالاً ثم ما لبث ان خفق فؤادها بزفرة حارة وأنغمضت أجفانها
فغابت رسل أنظارها ومالت برأسها فوق كتف البحر نخبأت وجهها بين
طيات أمواجه

وعندئذ نهيتي يد الظلام الباردة التي كانت تمتد نحو صفحات
الوجود فتطمس رسومها وتمحي آيات جمالها فوقفت متسائلة عن معنى هذا
الجمود واسباب الاهیال هل يمكن تأويله لقلة جمال مشاهد الطبيعة
والطبيعة أجمل ما في الوجود . . . او لعجز الانسان عن ادراك اسرارها
وهو العاقل الحكيم والمخترع العظيم . لعمري لا هذا ولا ذاك ولكننا
نحن الشرقيين على اختلاف نحلنا وطبقاتنا لم نتعود الالتفات الى الاشياء
الجميلة ولا توفرت لنا الوسائط الفعالة لتربية الذوق وانماء حاسة تقدير
الأمر العظيمة قدرها

عفوآسادتي انني لا أقصد بذلك لوماً او عتاباً. بل حاشا لي أن أنسب
لابناء جنسي وبناته ضعفاً وعيباً. وهم سلالة أقوام اشتهروا من قديم الدهر

بالمدينة والارتقاء ولن يزالوا على قلة وسائط التقدم وحدائث عهدهم به
يعدون من أكثر الشعوب ذكاءً وأسماخاً أخلاقاً
ولكن هي الدنيا حياتها ادوار واطوار لا بد أن تمر بالشعوب فتجعلها
كالافراد تارة طفلة بلهاء وطوراً صبية حمقاء وحيناً كهلة حكيمة وآخر
شيخوخة خبيثة

ونحن في طور الحدائث ان لم أقل دور الفطام بل نحن في دور النقاهاة
من مرض لا ذنب لنا في تفشيه وانما هو ذنب الأيام
فقد وجدنا في فصل خريف تناثرت اوراق العلم عن اغصانه وتلبد
جوؤه بنعيم التأخر فرأينا أنفسنا على حضيض من الأوهام والسخافات
لا أساس علم فيه نشيد عليه ولا مثال ننسج على منواله
فكان علينا أن نضع الأساس وان ننسج المشال ولقد فعلنا وبلغنا
بعض المأمول فانتشرت بيننا المدارس واتسعت المعارف وارتقت العقول
حتى اصبحنا اليوم غيرنا منذ ٤٠ عاماً . فنحن مهما تأخر حالنا فلنا فضل
المتقدم . على انه لا يزال ينقصنا أمر جوهرى لا نستطيع ابتياعه بالمال
ولا يمكننا التقاطه مع مفردات اللغات كما اننا لانجده في ساحات المحاضرة
ولا توحيه لنا نغمات الأوتار وانما نجده في البيت نجده في كنف الأمهات
ألا وهو التربية عموماً وتربية الذوق خصوصاً
ان تربية الذوق لمن أهم الامور للاحداث لأن عليها ترتب فوائد
جمة للانسان قد تكون سبب تقدمه في مدارج العلاء او تأخره الى
اسفل الدركات

فلکم من تاجر بارت تجارتہ لأنه لم یحسن وضعها ولم یراع تناسق ألوانها بل کم من فتاة ضاع جمالها لعدم اختیارها اللون والزی الموافقین لها
اولا نری أحياناً کوخاً حقيراً لا ریاش فيه الا ما کان بنحس الثمن
ومع ذلك نجدہ جمیلاً لحسن ترتیبه ووضع اشیائه في محلها بشكل ترتاح
النفس اليه وأحياناً نری قصراً شاهقاً تنبوا العين عن رؤيته علی ما فيه
من الامتعة الثمينة والریاش النادرة وذلك خلوه مما یميل اليه الذوق السليم
ان تریة الذوق ترفع قدر المرء وتلطف أخلاقه . تدفعه الى اتقان
أعماله وتساعده علی تنضید الفاظه وتجعله یدرك قدر الاعمال العظيمة
فیمیل الى الاقتداء باصحابها وعلی الجملة فهي تساعده علی اقتباس كل صفات
حسنة واحترام كل عمل جلیل

بل ان تریة الذوق هي اصل سعادة الانسان لأنه علی قدر حسن
ذوقه تكون قوة تميزه الاشياء ومعرفته أوجه الشبه والعلاقات بينها .
ولا بدع فان الذوق هو القوى العاقلة التي تتأثر من الشیء الجمیل فاذا لم
تهذب هذه القوى لبثت ضعيفة قليلة النمو وكان صاحبها أشبه بآلة
تتحرك میکانیکياً دون أن یتقن عملاً من الأعمال او یرع بفن من الفنون
اذ انی له ذلك وهو لا یدرك الفرق الكائن في درجات الجمال واذا فعل
فادراكه يكون ضعيفاً بالنسبة الى غیره من اصحاب الذوق السليم . ويتضح
لنا ذلك متى أوقفنا اثنين لدى صورة متقنة الصنع وكان احدهما مصوراً
بارعاً والآخر بسیطاً جاهلاً فترى الجاهل یتحسن الصورة استحساناً
سطحياً حتی لو لم تكن تستحق الاستحسان فیکفيه ما یراه فيها من

تزويق الوان وبرقشة ظواهر وقد تكون هذه حالته لدى أحكم الصور
عملاً واحقرها صنماً لا فرق عنده بين هذه وتلك ولا أفضلية في احدها.
في حين اننا نرى المصور يتأثر من حسن اتقانها تأثراً يتناول كل عواطفه
واذا كان فيها ما يدعو الى الانتقاد ادرك ذلك بالحدة وبين مكان الخطأ
فيها وبهذا يتضاعف سروره وتأثره

فما هو السر في ذلك وما هو السبب في الفرق الكائن بين المصور
والجاهل . الفرق هو ان المصور نال حظاً من تربية الذوق لم ينله الجاهل
فكان ما رأيناه من تباين شعورهما لدى الصورة

ومعلوم ان الناس مختلفون ابداً في ادواقهم اختلافهم باميالهم ودرجة
افهامهم حتى سار القول مثلاً بان (لا جدل في الذوق)

وليس الغرض من التربية ازالة هذا الخلاف وانما القصد انماء القوى
العاقلة حتى تصير قادرة على ادراك اسرار الجمال والتمييز بين درجاته .
وبذلك ترتفع منزلة الانسان الروحية وتصبح غايته من الحياة عظيمة
سامية ارفع من أن تقنعها الماديات او ترضيها الارضيات

ان الغاية القصوى التي يسعى اليها المرء في دنياه هي السعادة بلا
ريب والسعادة لا يمكن أن ينالها الجاهل بجهله او الغني بثروته او البطل
بقوته او التقي بصلاته فتلك امور وان اتت الانسان ببعض الفائدة فلن
تجعله وحدها سعيداً وانما السعادة الحقيقية هي التمتع بملذات العقل والتمتع
بنتائج اعماله ولا يسع العقل ادراك هذه الملذات الا اذا تهذب فيه
حاسة الذوق

ألا نرى كيف ان الشاعر متى اجاد قصيدة يقف عند نهايتها ناظراً
في سطورها متأملاً معانيها بسرور يلامس روحه ويستولي على كل
عواطفه ومثله الكاتب متى عني بتدريج مقالة رنانة محكمة السبك وكذلك
المصور والنقاش متى ابدع كلاهما في صنع رسم او تمثال. وقس على هؤلاء
النجار والاسكاف وغيرهم فان كل من عمل عملاً واتقنه شعر بان عقله
يترنج ثملاً بخمرة الفوز ووروحه تطير في جو السرور والاعجاب اما من لم
يتهدب ذوقه فقد حرم طبعاً من هذه اللذة الروحية بل السعادة التامة
وكان شبيهاً بالمعجماءات التي تعيش لتحمل الاثقال وتملاً جوفها
بانواع المآكل

وأفضل الوسائل لتربية الذوق هي الموسيقى والتصوير. فالاولى
ترفع النفس الى أسمى مراقي الكمال واللفظ وتلبسها أجمل حلل الرقة
والحنان فتعني فيها عواطف الحب والشفقة وتميل بها اصغاء لصوت البائس
وزفره اليأس. والثانية تنمي في المرء قوة التصور وحسن التمييز وتساعد
على ادراك قدر المحسوسات وكيفية نظامها. ومن دواعي الاسف ان
هذين الفنين منحطان جداً في الشرق كما هي الحال في سائر الفنون الجميلة
تلك هي اكبر اسباب تأخرنا في ميدان الرقي. اما في الغرب حيث
الحال على عكس ما هي عندنا فان شعوبه ينافس بعضهم بعضاً بالاختراعات
الصناعية والاكتشافات العلمية فضلاً عما يتحلى به افرادهم من حسن
اللباقة والظرف وما يشبون عليه من المبادئ المتقاربة الاصول المتشابهة
العادات بحيث يجد كل منهم ارتياحاً للوسط الذي هو فيه وسروراً من

معاشرة اي كان من ابناء جنسه اما عندنا فالقوم خليط بعاداته متباين
باميله مختلف بمعارفه حتى نكاد لا نجد اثنين غربيين ان لم اقل اخوين
على اتفاق في مبدأ او رأي . وما ذلك الا لعدم وجود اساس نشيد عليه
دعائم حياتنا الادبية او قاعدة تجري عليها في آدابنا الاجتماعية

يصحب الغربي ابنه الى حيث توجد الآثار القديمة مثلاً فييدي له
من عظمتها السالفة وقدر أصحابها الغابرين ما يملأ قلبه الصغير احتراماً
وتعظيماً ويقف به لدى بعض تماثيل الرجال العظام فينقل اليه من أخبار
مجدهم وسالف عزهم ما يجعله يرفع رأسه افتخاراً و إعجاباً وهكذا يدرك شيئاً
فشيئاً قيمة تلك الآثار ويندفع يوماً فيوماً لاقتفاء أثر أصحابها

اما نحن فاذا اتفق لنا ان نمرّ بقرب الأرز او قلعة بعلبك او آثار
تدمر فاكثرتنا يكتفي بالقاء نظرة بسيطة قد لا تشمل سائر مظاهرها
وموجوداتها وقل منا من يهتم لمعرفة تاريخها او يشرح لولده شيئاً عنها
فالولد الذي يشب على هذه الحال يظل كل عمره بليداً مغترّاً بنفسه يجهل
فضل الرجال ولا يعرف قيمة للجميل من الاعمال وقد يعتقد ان الدنيا
قلائمة بمحل وجوده والعالم محصور بذاته الكريمة لا معارف الا ما يجمعه
ضمن دائرة عقله الضيق ولا من يستحق الاهتمام والاحترام الا جنابه
الكريم

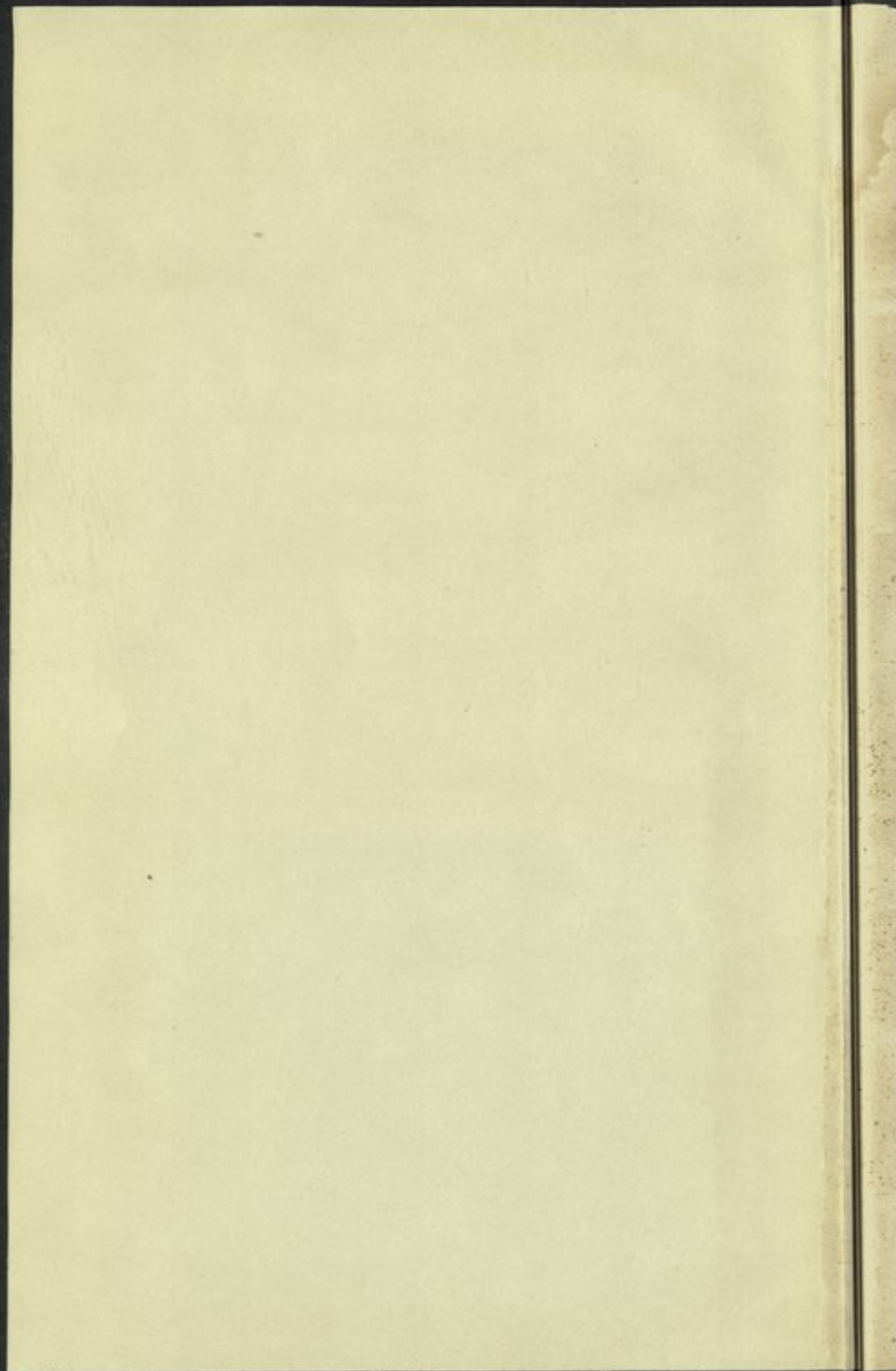
يعلم الغربي ولده مبادئ الدين بان يستلفت نظره الى جمال الطبيعة
ونظام الكون فينتقل بأفكاره الى أعالي الجبال حيث يريه هندسة تركيبها
وانواع صخورها ويهبط به الى أسفل الوهاد فيشرح له كيفية تكوينها

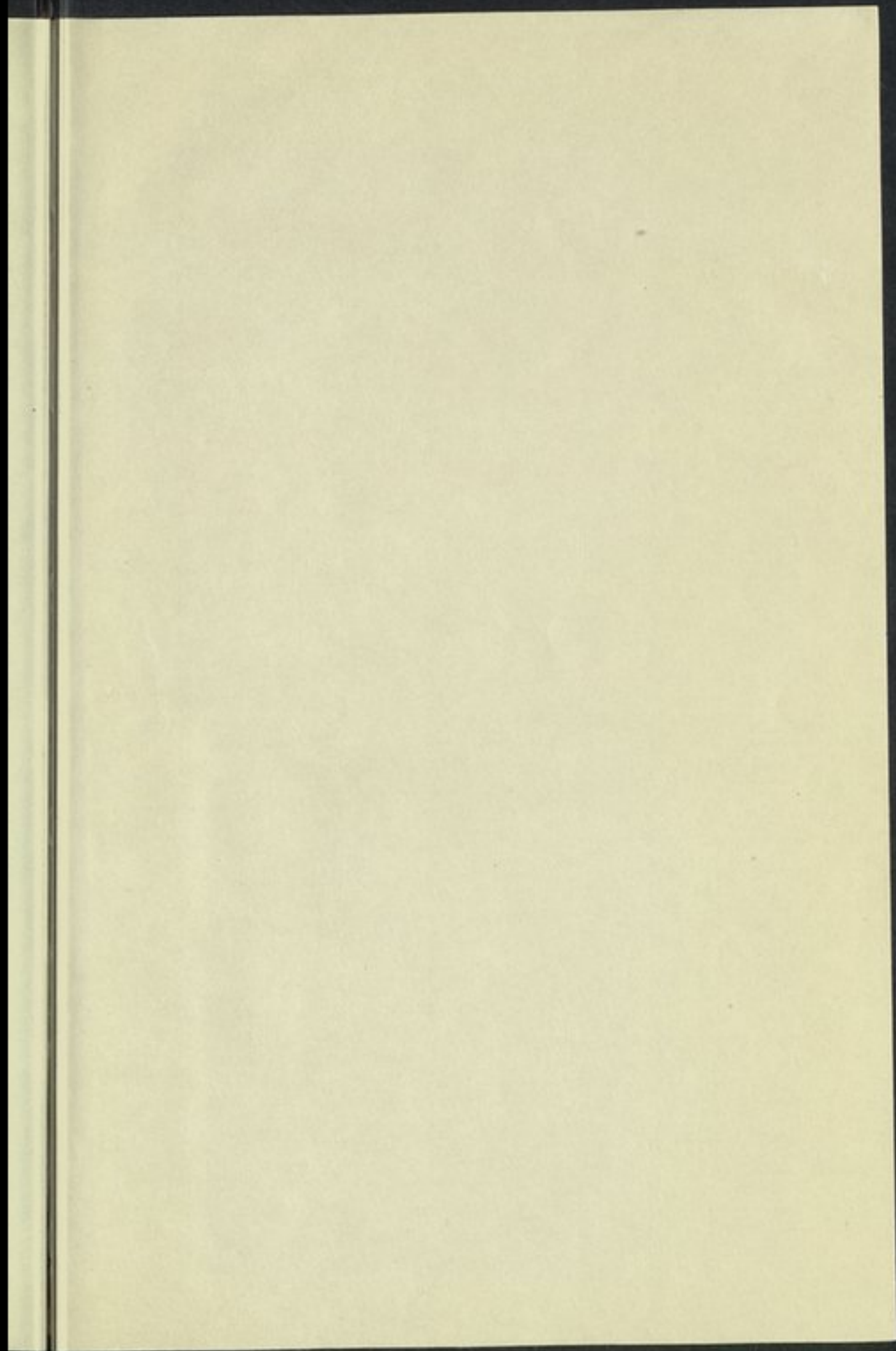
وتحجر أخشابها ثم يحول واياه مع السيارات وحول الشمس وبين النجوم
فيشرح له عن دقة نظامها وغرابة ترتيبها وشكل حركاتها وجمال منظرها
حتى اذا امتلأ دماغه الصغير احتراماً لكيانها وهيبه لعظمتها واعجاباً
بترتيبها . أفهمه حينئذ انه يوجد من هو أسمى منها كثيراً الا وهي القوة
التي اوجدتها : الاله الخالق : بهذه الواسطة يمثل الولد احتراماً لذلك
الخالق القدير

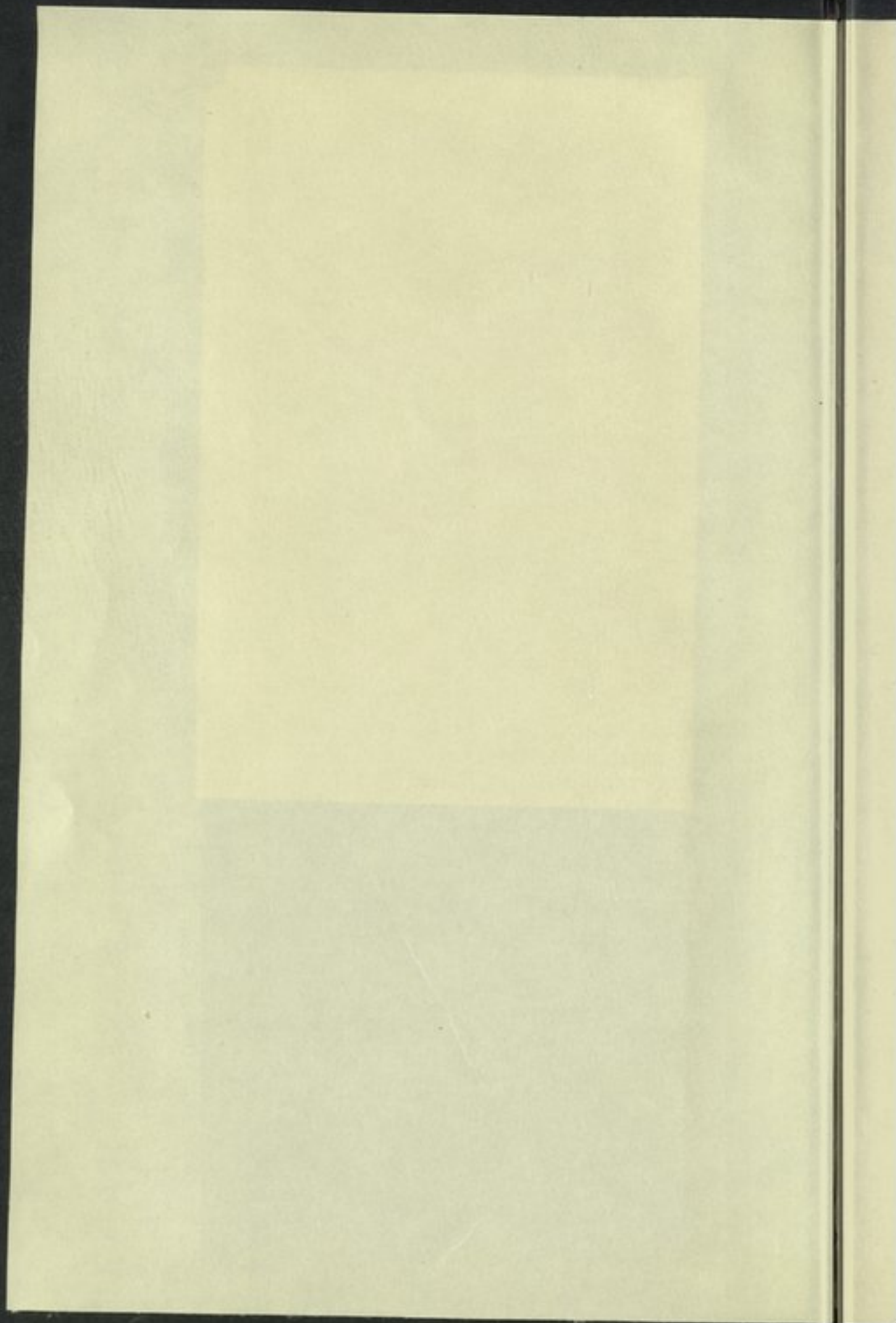
اما نحن فنبدأ بتعاليمنا الدينية بعبارات مبتذلة نردها على مسمع
الولد الى ان ترسخ في ذهنه فيكررها دون أن يفهمها او يخطر له تفهم
معناها وننتهي بمواعظ وارشادات تقتل عقل الولد بعويص ألفاظها وتعقيد
معانيها وهكذا ترون ايها السادة ان ابناء الشرق محرومون من وسائل
الارتقاء الادبي سواء في البيت والبستان في المدرسة والسوق لا مربى لهم
ولا مرشد ولا معلم وما ينبغ بعض رجال ونساء فيهم الا يجدهم واجتهادهم
وكثرة مطالعاتهم وانصباهم على توفير معارفهم والعمل على تثقيف عقولهم
وتحسين صفاتهم . وهؤلاء هم أمثال حضراتكم الذين برهنتم بحضوركم
هذا الاحتفال على انكم اكرم من يوصل بهم الرجاء وتناط بهم الآمال
فاياكم ادعوا لاصلاح الحال ومنكم أرجو الاهتمام لتربية الذوق في
الاولاد . ادعوك الى العناية بانماء عقولهم وتقويم أخلاقهم . الى تشويقهم
للبحث وترغيبهم في الدرس الى غرس حب الطبيعة في قلوبهم وهم احداث
واخيراً الى تحسين الذوق

الى تحسين الذوق









DATE DUE



370.4:H34kA:c.1

هاشم، نبيهة

كُتَابَات فِي التَّرْبِيَةِ

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01022100

370.4
H34kA

